



المقاصد الكبرى للقرآن الكريم

دراسة تأصيلية

أ.د. طه عابدين طه
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بجامعة أم القرى - بمكة المكرمة



نسخة إلكترونية

للتواصل مع المؤلف

proftaha11@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم





مقدمة

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيّمًا، جعله الله تعالىٰ للحياة نورًا مبينًا، وللناس هدىٰ قويمًا، ولأسقامهم شفاء عظيمًا، وجعله تبيانًا لكل شيء، ورحمة وبشرىٰ للمؤمنين، وذكرًا خالدًا إلىٰ يوم الدين، فهو: «الْعِصْمَةُ الْوَاقِيَةُ، وَالنِّعْمَةُ الْبَاقِيَة، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالدَّلَالَةُ الدَّامِغَةُ، وَهُوَ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَالْحَكَمُ الْعَدْلُ عِنْدَ مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجَزْل، والفَصْل الذي ليس بالهَزْل، سِرَاجٌ لَا يَخْبُو ضِيَاؤُهُ، وَشِهَابٌ لَا يَخْمَدُ نورُه وثناؤُه، وَبَحْرٌ لَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ، بَهَرَتْ بَلَاغَتُهُ الْعُقُولَ، وَظَهَرَتْ فَصَاحَتُهُ عَلَىٰ كُلِّ مَقُولٍ...لَا يَسْتَقْصِي مَعَانِيَهُ فَهْمُ الْخَلْقِ، وَلَا يُحِيطُ بِوَصْفِهِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ ذُو اللِّسَانِ الطَّلْقِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَيْهِ، وَوَقَفَ فِكْرَهُ وَعَزْمَهُ عَلَيْهِ، وَالْمُوَفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِتَدبُّرِه، وَاصْطَفَاهُ لِلتَّذْكِيرِ بِهِ وَتَذَكُّرِه، فَهُوَ يَرْتَعُ مِنْهُ فِي رِيَاضٍ، وَيَكْرَعُ مِنْهُ فِي حِيَاضٍ»[1].

وقد جعل الله تعالىٰ ورثة كتابه هم الأصفياء من عباده، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣١، ٣٢]، وجعل حملته

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢-٤).

العلماء الراسخين من أوليائه، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، فما أقبلت علىٰ تعلّمه وتدبّره والعمل به أمَّة إلا هُديت وسُعدت، وما نسيَتْه أمَّة وأعرضت عنه إلا شقِيَت وعُذِّبت، قال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٤]، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بنور الوحي الذي صلح به أولها، فلا عجب أن يجعله أولو النهىٰ من عباده رياض عقولهم، وعافية أرواحهم، وبصيرة حياتهم.

والصلاة والسلام علىٰ من اصطفاه ربه وشرَّفه بنزول هذا الهدىٰ علىٰ قلبه مصدّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٧]، وعلىٰ آله الطاهرين، وصحبه الصادقين، ومن سار علىٰ هديهم إلىٰ يوم الدين.

فالكلام والتأليف في علوم القرآن الكريم وتفسيره كثيرٌ جدا، ومن تلك المؤلفات التي اكتسبت أهمية خاصة، تلك التي جاءت تبحث في مقاصده التي تتعلّق بالغايات العامة والكليّات الكبرىٰ من إنزاله، أو التي تبحث عن الحِكَم المقصودة من وراء تشريعاته التي أنزلها الله تعالىٰ لإسعاد خلقه، فإذا كان الظفر بغايات كلام البشر من أعلىٰ المطالب لكل قارئ ومستمع، فكيف

بمن يظفر بغاية كلام خالق البشر الذي هو النعمة المسداة والرحمة المهداة؟! فالبحث فيه من أشرف الأعمال التي تُبذل له الجهود والطاقات، وتُفنىٰ فيه الأعمار، يوصلك إلىٰ خلاصة مضمون الرسالة، وله أثر بعد ذلك في مزيد فهم للقرآن الكريم، واستنباط بعض معانيه، وكما له أثره عند تنزيل القرآن علىٰ الواقع؛ من خلال التوازن بين فهم النصوص ومقاصدها.

أولًا: أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع من جوانب كثيرة من أبرزها:

١- حاجة كل مشتغل بالقرآن الكريم للإلمام بمقاصده: فهو يهتم بجانبين مهمين لا يستغني عنهما مشتغل بتدبر القرآن الكريم، يسعىٰ لفهم خلاصة الهدىٰ الذي بثّه الله تعالىٰ في كتابه، وهما:

الأول: إبراز غاياته الكليّة، وموضوعاته الأساسية التي تمثل مضمون خطابه العام، وهذا لا يختلف في وجوب تعلّمه علىٰ كل مسلم؛ لأنها تمثل أساسيات يقوم عليه تديّن الفرد وفهمه الكلي لدينه فيسير علىٰ بصيرة من أمره، فليس يجب علىٰ الخلق جميعًا حفظ وفهم جميع القرآن الكريم، فهذا مما يصعب عليهم؛ وإنما يجب عليهم من ذلك ما تقوم به أصول وأركان دينهم التي في مقدمتها مقاصده الكبرىٰ.

والثاني: معرفة الغايات التي يرمي إليها الشارع من خلال خطابه، والحِكَم والأسرار المكتنزة من وراء تشريعاته، ودورها في حفظ حياة الفرد، وتحقيق أمن المجتمعات، وبناء حضارة الإنسان وفق عقيدة متوافقة مع الفطرة السليمة، ومنهج عادل رحم الله به الإنسانية، وحفظ به نظام العالم من الخراب، فحمىٰ من خلاله مصالحهم، ودفع عنهم السوء والفساد، ولأهمية هذا الجانب شمّر في استخراجها العلماء، وفاز باغتنامها طلبة العلم والمصلحين من الدعاة وغيرهم من أبناء الأمة، الذين يعملون لنهضة الأمة وازدهارها من خلال جمع الناس علىٰ الثوابت، والكليّات، والأصول الجامعة.

٢- تحقيق التدبر الذي أمرنا الله تعالىٰ به: فالله تعالىٰ أمرنا بالتدبر؛ والنظر؛ والتفكر؛ والتعقل؛ والتفقّه في دلالات آياته، والسعي لاستنباط حكمه وأسراره، بما يوصل لعمق المعاني ومراميها البعيدة، ويحقق تلاوته حق التلاوة، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]، قيل في معناه: «هم الذين تدبّروه حق تدبّره، وتفكروا في معانيه وحقائقه وأسراره»[١].

وقال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يفهمون أسراره، ويفقهون حكمة تشريعه، وفائدة نَوْط التكليف به»[٢].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٧٥).

(٢) تفسير القرآن الحكيم (المنار) (١/ ٣٦٨).

وقال أيضًا: «فمن تلاه حق تلاوته، وتدبّره، وجد كل علم وحكمة، وخير وفضيلة، وبرّ ومكْرُمة، حاضرا في نفسه، وكل جهل وشر كان ملتاثًا به، أو عرضة له كأنّ بينه وبينه حاجزا كثيفا، أو أمدًا بعيدًا»[١].

وقال القُرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالواجب علىٰ من خصّه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حقّ تلاوته، ويتدبّر حقائق عبارته، ويتفهّم عجائبه، ويتبيّن غرائبه، قال الله تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]»[٢].

ومما لا شك فيه أن العلماء ما تكلموا وأبرزوا هذه المقاصد إلا بعد عكوفهم علىٰ كتاب الله تعالىٰ، وتدبرهم العميق لآياته وسوره، وجمعوا بين النظرة الجزئية والشمولية وفق استقراء تام للوصول؛ حتىٰ خلصوا لهذه الكليّات الجامعة، والغايات الكبرىٰ التي حدَّدوها.

٣- تحقيق غرض المُفسِّر من التفسير: من أعظم أغراض المُفسِّر الوصول للمقاصد وبيانها للناس، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غرض المُفِّسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالىٰ في كتابه، بأتمّ بيان يحتمله المعنىٰ ولا يأباه اللفظ؛ من كل ما يوضّح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلا وتفريعا»[٣].

---

(١) تفسير المنار (١٢/ ١٨٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٤١).

٤- زيادة وعي الأمة بكتابها المجيد: من خلال تيسير فهمه إليهم، وتعميق نظرهم في قضاياه العليا، ومقاصد تشريعه، بما يظهر عظمته، ويعمّق إيمانهم وتعلُّقهم به، ويزيد من محبَّتهم وإقبالهم عليه، لتعلُّم أحكامه وهداه.

٥- دحض شبهات أعداء الملة: الذين يريدون إظهار الاختلاف بين معانيه وهداياته، فالمقاصد الكليّة تنتهي وتجتمع إليها جميع معاني القرآن في نسق تام؛ فإن الانتصار للقرآن الكريم من أعظم الأعمال الصالحة.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

١- وجود التباس وتخليط كبير في تحرير مفهوم المقاصد، ومضمونها، والفرق بين المقاصد العامة والخاصة، والأصلية والمتمِّمة، والكليّة والجزئية، والرئيسة والثانوية، والكبرىٰ والصغرىٰ، والفرق بينها وبين مقاصد التشريع وغيرها، وعدم وجود دراسة علمية تشفي الغليل مع كثرة ما وقفت عليه من بحوث ودراسات، يؤكد الحاجة الملحَّة لمثل هذا البحث وغيره.

٢- حاجة هذا العلم لإبراز فوائده التي تظهر أهميته ومنزلته، وتلفت للعناية به تأصيلا وتطبيقًا، بحيث يتجاوز البحث فيه هذه المراحل الأولية في التأصيل؛ لينتقل إلىٰ آفاق دقيقة في التطبيق تحتاج إليها المكتبة القرآنية.

٣- حاجة الأمة اليوم لفهم واستيعاب مقاصد القرآن الكريم الكبرىٰ، والاجتماع حولها أكثر من كل فترة سابقة، وهم يواجهون عدوًا مشتركًا يريد

اقتلاع الإسلام من جذوره بشتىٰ الوسائل والسبل، مما يتطلب إبراز هذه الأساسيات والكليَّات، والاجتماع حولها.

٤- كثرة التشكيك في التشريعات الإسلامية من قبل أعداء الملّة، يتطلّب إبراز مقاصده الكليّة، والانطلاق منها في الحوار مع أهل الأديان وغيرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، مع إبراز حِكَم ومقاصد التشريع، وما فيها من معان وأسرار عظيمة تُظهر ربانية هذا التشريع؛ الذي تجاوز قدُرات كل الخلْق في الوصول إلىٰ ما يحقّق مصالحهم.

٥- حاجة طلاّب العلم للوقوف علىٰ هذا المسلك العلمي المهم في التفسير؛ من خلال هذه المحاولات الجادة للوصول إلىٰ مزيد من التبصرة من أنوار هذا الكتاب الزاهية، حتىٰ يستكملوا ما بناه علماؤهم.

ثالثًا: أهداف البحث:

١- تحرير مفهوم مقاصد القرآن الكبرىٰ اصطلاحا، وبيان الفرق بينها وبين مقاصد الشريعة، ومقاصد السور، والتفسير المقاصدي، والهدايات القرآنية.

٢- إبراز أهمية علم مقاصد القرآن الكريم بما يظهر مكانته العلمية بين الدراسات القرآنية، وفوائده المترتبة عليه، وجعله في الصدارة التي تليق به علميًا.

٣- تحديد أقسام مقاصد القرآن الكريم وأنواعها؛ بصورة دقيقة محرّرة.

٤- عمل استقراء تاريخي لجميع ما قاله العلماء عن مقاصد القرآن بهدف توثيقها.

٥- دراسة جميع ما ورد عن مقاصد القرآن وتحليله؛ للوصول إلىٰ نتائج محددة، تكون معالم هادية في التأصيل لمقاصد القرآن الكريم العامة.

رابعًا: الدراسات السابقة في الموضوع:

هنالك كثير من البحوث والدراسات حول مقاصد القرآن وقف عليها الباحث، وطالع الغالب منها مطالعة متأنية؛ للاستفادة منها من جهة، وإدراك أوجه اختلافها واتفاقها من جهة ثانية، وتقويم محتواها من جهة ثالثة، وغالبها علىٰ مستوىٰ من الجدية والجودة؛ لأنها كتبت من أساتذة لهم خبرتهم وباعهم وتجربتهم، إلا أنّ من يطّلع عليها يدرك تمامًا أن الموضوع ما زال يحتاج إلىٰ قدْر من البحث والدراسة، كما أوصىٰ بذلك كثير ممّن كتب في هذا الموضوع، خاصة في النقاط التي جعلتها هدفًا لهذه الدراسة.

وقد تميزت هذه الدراسة بجمع خلاصة ما كتب في هذا الموضوع، دون حشو وتطويل وتكرار، في صفوة بيان حبّرته تحبيرا، واصطفيته اصطفاء، وحرّرته تحريرا دقيقا علىٰ مكث؛ ليكون إضافة جديدة لطلاّب هذا التخصص الأسنىٰ، ويعينهم في الوصول لمقصوده الأسمىٰ؛ في الإلمام الدقيق بمباحث

هذه المادة المهمة، من خلال هذا الجهد الذي لا ندّعي فيه كمالًا، وإنما نسأل الله توفيقًا وعونًا وسدادًا.

والدراسات السابقة التي وقفت عليها كثيرة، أكتفي هنا بذكر أكثرها ارتباطًا وتعلّقًا ببحثنا، ولها قدْر كبير من الجدية والموضوعية، وقد جاءت علىٰ النحو الآتي:

١- المدخل إلىٰ مقاصد القرآن: للدكتور عبد الكريم حامدي، (طبعة مكتبة الرشد، الرياض)، وهو من الدراسات العلمية القيِّمة المتميزة في الموضوع، وقد احتوىٰ علىٰ مباحث كثيرة لا تعلق لها ببحثنا هذا، مثل مبحث الخصائص والحِكم ، والأدلة علىٰ ثبوت المقاصد، والحاجة إلىٰ معرفة المقاصد في الدعوة، والفتوىٰ والفقه والتفسير..، والبحث مع قيمته العلمية ظهر فيه تأثر كاتبه برؤيته الأصولية كثيرًا في تحديد المصطلح، ولم يصل لنتيجة محددة في تحديد مضمون وأنواع مقاصد القرآن الكريم، الذي هو هدف وموضوع دراستنا.

٢- مقاصد القرآن قراءة معرفية تقويمية: للدكتور محمد المنتار، (منشورة ضمن مؤتمر جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم)، وقد جاء بحثه في ثمان وستين ورقة، وهي دراسة فيها جوانب كثيرة تميّزه؛ من أبرزها: جديته في مناقشة ما ذكره من أقوال بعض العلماء في المقاصد، وهي قد اتجهت نحو المنحىٰ التاريخي لهذا العلم من حيث النشأة والتطور، مع بيان خصائص

كل مرحلة؛ ولكن مما يلاحظ عليها النقص الكبير في التتبع التاريخي لأقوال العلماء حيث اختصر علىٰ بعضها، وركّز علىٰ المعاصرين منهم، مما جعل بعض ما قرّره من نتائج ضعيفة لا يسلَّم له فيه، والملحوظة الثانية علىٰ دراسته، اتجه في مواضع كثيرة نحو مقاصد الشريعة أكثر من عنايته بمقاصد القرآن، ولعل طبيعة تخصصه في أصول الفقه، وكثرة كتاباته في مقاصد الشريعة، أثّرت وغلبت عليه.

٣- مقاصد القرآن الكريم ومحاوره عند المتقدمين والمتأخرين: للدكتور عيسىٰ بوعكاز، (كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة)، وهو بحث صغير يقع في ست وعشرين ورقة، في مجلة الإحياء، (العدد:٢٠، عام: ٢٠١٧م)، وقد خلط بين مقاصد القرآن والتشريع، وذكر من المتقدمين فقط الغزالي، والبَغَوي، وابن جُزَيّ، ثم تحدّث عن المتأخرين: محمد رشيد رضا، وعبد العظيم الزرقاني، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الغزالي، ثم الخاتمة، فجاء بحثه غير معالج لعنوانه وأهدافه.

٤- مقاربات مقاصد القرآن: دراسة تاريخية: لعبد الرحمن حللي، منشور في مجلة البحوث والدراسات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، في عدد خاص بالمقاصد، المجلد العشرين، (العدد: التاسع والثلاثون، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦ م)، وقد جاء البحث في اثنتين وأربعين ورقة، وهي دراسة جادة في تتبع تاريخي للمقاصد عند المتقدمين والمتأخرين، وركّز بصورة

كبيرة علىٰ المتأخرين، خلافًا لدراستي التي تتبعت فيها أقوال المتقدمين بدقة، مع تحليلات عميقة لأقوالهم، أنتجت عشر نتائج لم تسبق في دراسة كاشفة للمقاصد حسب علمي وتتبّعي، وقد أوصىٰ صاحب الدراسة بالحاجة القائمة عن دراسة تأصيلية منضبطة لاستكشاف مقاصد القرآن[1].

٥- جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم: للدكتور مسعود بودوخة، (جامعة سطيف - الجزائر)، بحث علمي في اثنتين وثلاثين ورقة، وهو من البحوث القيّمة، منشور ضمن مؤتمر جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم، هدف الدراسة: رصد جهود علماء الأمة، واستنباط وتبيان مقاصد القرآن، ومتابعة تطور البحث في مقاصد القرآن، والباحث تتبع أقوال بعض العلماء في رصده مما جعل الدراسة قاصرة في تحقيق هدفها، وركّز علىٰ المعاصرين، ولم يذكر من المتقدمين سوىٰ الرازي، والسُّيوطي، والأَلوسي، وتوصّل إلىٰ تحديد مقاصد محددة لا يتفق معه فيها الباحث، فهو بنىٰ نتائج بحثه علىٰ استقراء ناقص، ولم يجمع جميع الأقوال ثم يدرسها دراسة مقارنة؛ للوصول لنتائج محددة.

٦- مقاصد القرآن وصلتها بالتدبر: بحث صغير من عشرين ورقة للشيخ علي البشر الفكي التجاني، شارك به في مؤتمر التدبر، يهدف الباحث من خلاله إلىٰ بيان أوجه الارتباط الوثيق الذي يجمع بين تدبر القرآن الكريم، ومقاصد

---

(١) انظر: خاتمة بحثه (ص: ٢٢٧).

الكتاب العزيز من حيث المفهوم والوسائل والمنهج، وتوصل إلىٰ أهمية ربط التدبر بمقاصد القرآن الكريم، فالدراسة بعيدة عن موضوعنا وهدفنا.

٧- خطاب التكليف من ضيق المقاصد الشرعية إلىٰ سعة مقاصد القرآن: للشيخ حسن قصاب، وهو بحث منشور في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر في السنة الثالثة والعشرين، (عام: ١٤٣٨هـ، في العدد: ٨٩)، الذي خصص عن مقاصد القرآن في بناء الحضارة والعمران، والبحث ليس في مفهوم المقاصد أو ما هيته؛ وإنما هو في بيان كيف ضيّق الفقهاء من خلال ما وضعوه من مقاصد الشريعة، وما وسعه الله تعالىٰ من خلال مقاصد القرآن علىٰ المكلفين؛ من خلال استثمار الظنية الغالبة في خطاب التكليف، بدل التعرض لها بالترجيح والتغليب وغيرها من نتائج في هذا الباب، فالدراسة بعيدة عن موضوعنا وهدفنا.

٨- المقاصد القرآنية: دراسة منهجية: للأستاذ الدكتور محمد بن عبد الله الربيعة، منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، (العدد: ٢٧، جمادي الآخر١٤٤٠هـ)، وهي دراسة اعتنت ببيان أنواع المقاصد القرآنية التي فصّلها الباحث في أربعة أنواع: (مقاصد عامة، مقاصد السورة، مقاصد القصص، مقاصد الآيات)، ثم بيَّن طرق الكشف عن كل نوع، مع ذكر أمثلة تطبيقية، وهي دراسة متميزة كان هدفها بناء منهج تعليمي، وهو خلاف ما نحن بصدده من حيث الهدف والموضوع.

٩- أمهات مقاصد القرآن: رسالة دكتوراه للباحث عز الدين بن سعد الجزائري، وهو من أوسع الدراسات الحديثة ومن أميزها، والكلام عنها يحتاج لدراسة خاصة، ولكن النتائج التي توصل إليها علىٰ أنها هي مقاصد القرآن لا يسلّم له في غالبها، حيث انتهىٰ إلىٰ تصنيف أمهات مقاصد القرآن في تسعة مقاصد، رتّبها حسب الأهمية إلىٰ المقصد الأقصىٰ (إخلاص العبودية لله)، والمقاصد الأساسية (العلم الحق، الإيمان الصحيح، العمل الصالح)، والمقاصد الخادمة (الوازع، التذكير، الوعظ، الصبر، الإحسان)[(١)]، كما أن منهجنا في تحرير المقاصد اختلف عما تبعه الباحث.

١٠- مقاصد القرآن ومحتوياته وخصائص سوره وفوائدها: لعبد الله التليدي، وهو كتاب يقع في أربعمائة وأربعٍ وخمسين ورقة، تحدّث عن مقاصد القرآن في المقدمة بصورة مختصرة جدًا، ثم تكلم عن كل سورة من حيث مقصدها الذي قصد به محتواها، وخصائصها، من أول القرآن حتىٰ سورة الناس، بصورة مختصرة عامة خلت من المنهجية البحثية، فهو مؤلَّف عام لعلَّ كاتبه قصد به معلومات عامة لعامة الناس.

١١- الاتجاه المقاصدي للقرآن الكريم: لمحمد علي أسعد، منشور في مجلة إسلامية المعرفة، (العدد: ٨٩، سنة: ١٤٣٨هـ)، وهدفه هو التأصيل للاتجاه المقاصدي في التفسير ببيان ركائز وواجب المُفسِّر فيه، فهو تحدّث

---

(١) انظر: أمهات مقاصد القرآن (ص: ٤٤٧- ٤٤٩).

عن مفهوم التفسير المقاصدي، وإثبات مشروعيته، وعلاقته بأنواع التفسير الأخرىٰ، وهو يبعد عن موضوع دراستنا.

١٢- **التفسير المقاصدي تأصيل وتطبيق**: للدكتور مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني، هدفه كشف العلاقة بين التفسير والمقاصد، وهو يرىٰ أنه لا فرق بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن، وهذا خلاف ما قرّره عامة علماء التفسير، ولهذا جعل في بحثه؛ الاتجاه المقاصدي في التفسير منحصرا عن مدىٰ عناية المُفسّرين بمقاصد الشريعة.

١٣- **مقاصد القرآن في فكر النَّوْرَسي: دراسة تحليلية**: للأستاذ الدكتور زياد خليل الدغامين، تكونت الدراسة من مبحثين، تعرض فيهما لآراء العلماء في مقاصد القرآن الكريم، وتحدّث عن مقاصد القرآن في فكر النَّوْرَسي بين مقاصد القرآن الكليّة، ومقاصد السور القرآنية، ومقاصد الآيات القرآنية، وهو خلاف ما نحن بصدده من حيث الهدف والموضوع.

١٤- **مقاصد القرآن عند الطاهر بن عاشور**: للدكتورة هيا ثامر مفتاح، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (العدد: ٩٢، عام: ١٤٢٩هـ-٢٠١١م، جامعة قطر)، تحدثت عن المقاصد الثمانية التي ذكرها ابن عاشور في مقدمة تفسيره، وهو خلاف ما نحن بصدده من حيث الهدف والموضوع.

١٥- **مقاصد القرآن الكليّة وأهميتها في التفسير الموضوعي**: للأستاذ محمد عبد السلام حسن الحضيري، بحث مقدّم لمؤتمر التفسير الموضوعي

للقرآن: (واقع وآفاق)، جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسة الإسلامية، (بتاريخ: ١١-١٢ جماد الأولىٰ ١٤٣١هـ، الموافق: ٢٥-٢٦ أبريل ٢٠١٠م)، والبحث هدفه بيان أهمية معرفة مقاصد القرآن في اختيار وتوجيه البحث الموضوعي، فهو بعيد في محتواه عن موضوع بحثنا وهدفه.

هذه أبرز الدراسات السابقة التي اطّلعت عليها بصورة دقيقة، وهنالك بحوث ورسائل أخرىٰ وقفت عليها لم أثبتها لبعدها عن موضوع بحثنا وهدفه، وهنالك تفسير للشيخ صديق حسن خان، مسمّىٰ بـ: فتح البيان في مقاصد القرآن، وليس له تعلّق في محتواه بموضوع المقاصد.

والهدف من هذا السرد الطويل من الدراسات السابقة حتىٰ يعلم القارئ أن هذا البحث خرج من بين فرثٍ ودمٍ، وأرجو الله تعالىٰ أن يكون لبنًا خالصًا للشاربين.

خامسًا: حدود الدراسة:

سوف تركز هذه الدراسة في إبراز مقاصد القرآن الكبرىٰ، أو قل: الكليّة أو العامة، ولن تتناول مقاصد السور والآيات إلا عند بيان أنواع مقاصد القرآن، حتىٰ يخدم البحث هدفه وعنوانه بصورة مركزة، ولصعوبة معالجة كل جوانب موضوع مقاصد القرآن في بحث علمي واحد.

سادسًا: هيكل البحث:

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، علىٰ النحو الآتي:

* المقدمة:

شملت: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة في الموضوع، وحدود البحث، وخطة البحث، ومنهج البحث.

* المبحث الأول: المقاصد الكبرىٰ للقرآن: تعريفها والفرق بينها وبين المصطلحات المقاربة

المطلب الأول: تعريف المقاصد الكبرىٰ للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: الفرق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة.

المطلب الثالث: الفرق بين مقاصد القرآن الكبرىٰ والصغرىٰ.

المطلب الرابع: الفرق بين مقاصد القرآن والتفسير المقاصدي.

المطلب الخامس: الفرق بين مقاصد القرآن والهدايات القرآنية.

* المبحث الثاني: مقاصد القرآن فوائدها وأقسامها وأنواعها

المطلب الأول: فوائد مقاصد القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أقسام مقاصد القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أنواع مقاصد القرآن الاجتهادية.

*** المبحث الثالث: دراسة تقويمية لأقوال العلماء عن مقاصد القرآن الكبرىٰ**

المطلب الأول: التتبع التاريخي لأقوال العلماء في مقاصد القرآن الكبرىٰ.

المطلب الثاني: دراسة تحليلية لأقوال العلماء عن مقاصد القرآن الكبرىٰ.

المطلب الثالث: نظرة تأصيلية عن المقاصد الكبرىٰ للقرآن الكريم.

*** الخاتمة.**

سابعًا: منهج البحث وإجراءات الدراسة:

يقوم هذا البحث علىٰ المنهج الاستقرائي بتتبع ما قاله العلماء عن المقاصد الكبرىٰ في كتب التفسير، والدراسات القرآنية، عبر مسيرة التفسير الممتدة، ثم العمل علىٰ تحليلها للخروج بنتائج في مفهوم المقاصد وموضوعها، ثم التأصيل للقول الراجح بما يبرهن عن صحة ما توصلنا إليه، فقد جمعت فيه بين المنهج الاستقرائي والتحليلي والتأصيلي لتحقيق أهداف هذه الدراسة.

وقد أتبعت في تقرير مقاصد القرآن الكبرىٰ إجراءات تفصيلية تلخصت في الآتي:

الأولىٰ: استقراء أدلة القرآن الكريم والنظر فيها مجتمعة، وهذا الطريق هو الذي قرر العلماء من خلاله أصول الشريعة: «الضروريات، والحاجيات، والتحسينات».

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ الثَّلَاثَ لَا يَرْتَابُ فِي ثُبُوتِهَا شَرْعًا أَحَدٌ مِمَّنْ يَنْتَمِي إِلَىٰ الِاجْتِهَادِ مِنْ أَهْلِ الشَّرْعِ، وَأَنَّ اعْتِبَارَهَا مَقْصُودٌ لِلشَّارِعِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ اسْتِقْرَاءُ الشَّرِيعَةِ، وَالنَّظَرُ فِي أَدِلَّتِهَا الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ»(١).

والثانية: استقراء ما قاله علماء التفسير وعلوم القرآن، وسجلوه عن مقاصد القرآن العامة والكبرىٰ، والنظر فيها مجتمعة وتحليل ذلك للخروج بنتائج منه.

والثالثة: وهو الاستدلال لكلِّ أصل بأدلة وشواهد كثيرة من الكتاب والسنة تقرر ما توصلنا إليه، وسلوك هذه المسالك الثلاثة في تحديد مقاصد القرآن الكبرىٰ؛ هو واحدة مما تفردت به هذه الدراسة.

وفي ختام هذه المقدمة أسأل الله تعالىٰ الإخلاص والتوفيق، وأقول بأنَّ هذا الموضوع من الموضوعات العلمية التي تحتاج أن تبحث بصورة دقيقة

---

(١) الموافقات (٢/ ٨١).

في جوانب متعددة، لا يكفي بحثنا هذا في استيعابها، وإني مهما بذلت في هذا العمل من جهد وتحرير، يظل ملحظ النقص قائمًا، والعوج بيّنًا، وأبىٰ الله تعالىٰ الكمال إلا لكتابه، ولكن جهود العلماء الباحثين يكمّل بعضها بعضًا، وهو نوع من التعاون العظيم علىٰ البر والتقوىٰ، فهذا جهد عبد فقير يضعه بين عقولكم الفذة ليكون لكم غنمه، ولكاتبه غرمه، فمن وجد فيه خللًا فليسدّده، ومن استفاد منه فليدع لنا، وحسبي أني بذلت طاقة في تحبيره، وقصدت رضىٰ ربي من خلال تحريره، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَحَقٌّ عَلَىٰ النَّاظِرِ الْمُتَأَمِّلِ، إِذَا وَجَدَ فِيهِ نَقْصًا أَنْ يُكْمِلَ، وَلْيُحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ حَالَفَ اللَّيَالِيَ وَالْأَيَّامَ، وَاسْتَبْدَلَ التَّعَبَ بِالرَّاحَةِ وَالسَّهَرَ بِالْمَنَامِ؛ حَتَّىٰ أَهْدَىٰ إِلَيْهِ نَتِيجَةَ عُمره، وَوَهَبَ لَهُ يَتِيمَةَ دَهْرِهِ؛ فَقَدْ أَلْقَىٰ إِلَيْهِ مَقَالِيدَ مَا لَدَيْهِ، وَطَوَّقَهُ طَوْقَ الْأَمَانَةِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ، وَخَرَجَ عَنْ عُهْدَةِ الْبَيَانِ فِيمَا وجب عليه»(١).

وقد حبَّرت هذا البحث في غرة شعبان من عام: (١٤٤١هـ) ببلد الله الحرام مكة حفظها الله، وحفظ أهلها وديار المسلمين من كل سوء، حبَّرته والأمة تمر بظروف صعبة بعد أن عطِّلت الجمع والجمعات، والعمرة والطواف، وحبس الناس في البيوت بمكة وغيرها، بسبب البلاء الذي عمَّ العالم وعطَّله، وشلَّه وأوقف حركة تواصله برًا وبحرًا وجوًا، وقد سمّي بـ «كورونا»، وقد أصاب

---

(١) الموافقات (١/ ١٣).

الناس حزنًا طويلا لذلك -سائلين الله أن يكشف السوء ويصلح أمر البلاد والعباد- ولكن المنح قد تأتي في أثواب المحن، وكان واحدًا من نعم الله تعالىٰ عليَّ في هذا الظرف الحرج إخراج هذا البحث، لما وجدته من خلوة، وصفاء، ووفرة وقت.. والحمد لله علىٰ فضله وإحسانه.





المبحث الأول:

المقاصد الكبرى للقرآن: تعريفها والفرق بينها وبين المصطلحات المقاربة





المطلب الأول:
مفهوم مقاصد القرآن

ضبط وتحرير المصطلحات بما يميزها عن غيرها من الأمور المهمة في الأبحاث العلمية، والذي يطالع ما كتب عن مقاصد القرآن الكريم؛ يجد أن الأوائل كعادتهم كتبوا عن المقاصد بفهم مشترك دون تحرير للمصطلح، ويجد أن المتأخرين حاولوا تحرير مصطلحه؛ فجاءت بعض كتابتهم فيها خلط وتداخل كبير في تحرير مصطلحه مع مقاصد الشريعة، والاتجاه المقاصدي في التفسير وغيرها، بما أحدث لبس علمي في فهم موضوع المقاصد عند طلاّب العلم فضلًا عن غيرهم، ومن هنا جعلت انطلاقة هذا البحث الأولىٰ في تحرير مصطلح مقاصد القرآن، وبيان الفرق بينه وبين المصطلحات المقاربة له، فإليك بيان ذلك بعون من الله وتوفيقه.

أولًا: المقاصد في اللغة:

الأساس في تحرير المصطلحات الشرعية الانطلاق من مدلولات الكلمة في اللغة، إليك بيان أصل كلمة (المقاصد) ومعانيها في اللغة:

جمعُ مَقْصَدٍ كمقْعَد، وهي من الفعل قَصَدَ، قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاف والصاد والدال أصولٌ ثلاثة، يدلُّ أحدها علىٰ إتيانِ شيءٍ وأَمِّه،

والآخَر علىٰ اكتنازٍ في الشيء، فالأصل: قَصَدْتُه قَصْدًا ومَقْصَدًا، ومن الباب: أَقْصَدَه السَّهمُ، إذا أصابه فقُتِل مَكانَه، وكأنّه قيلَ ذلك لأنَّه لم يَجِد عنه»[١].

وقد وردت لفظة قَصَد ومشتقاتها في لغة العرب بعدة معان تلخصت في الآتي:

(أ) القصد: الاستقامة

من قصَدَ يقصِدُ قَصْدًا فهو قاصدٌ بمعنىٰ مستقيم، واقْتَصَدَ فِي أَمرِه: استقامَ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾ [النحل: ٩] أي: علىٰ الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾ ومنها جائر أي: ومنها طريق غير قَاصِدٍ، وطريقٌ قَاصِدٌ: سهل مستقيم[٢].

(ب) القَصْد: العَدْل

قال أبو اللَّحَّام التَّغْلِبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَلَىٰ الحكَمِ المأْتِيِّ، يَوْمًا إِذا قَضَىٰ   قَضِيَّتَه، أَن لَا يَجُـورَ ويَقْصِـد

قال ابن بَرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه علىٰ الْحَكَمِ المرْضِيّ بِحُكْمِه المأْتِيّ إليه ليحْكُم أَن لا يجور فِي حُكْمه بل يَقْصِدُ أَي: يَعْدِلُ»[٣].

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٩٥).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ١٨٥)، ولسان العرب (٣/ ٣٥٣).

(٣) لسان العرب (٣/ ٣٥٣).

(ج) القصد: التوسط وعدم الإفراط في الشيء

فالقَصْد في المعيشة: أن لا يسرف ولا يقتر، وقَصَد في الأمر: لم يتجاوز فيه الحد، ورضي بالتوسط، في الحديث: «عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا»[١] أي: طريقا معتدلا[٢].

(د) القصد: الأَمُّ وإتيان الشَّيء

والاعتزام والتوجُّه والنهود والنهوض نحوه بالجسد أو الرأي، : قصَدْتُه، وقصدْتُ لَهُ، وقصدْتُ إليه بِمَعْنًى، وقَصَدْتُ قَصْدَه: نَحَوْتُ نَحْوَهُ[٣]، يقال: قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْدًا وقَصَدَ لَهُ وأَقْصَدَني إِليه الأَمرُ، وَهُوَ قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي: تُجاهَك، وَكَوْنُهُ اسْمًا أَكثر فِي كَلَامِهِمْ[٤]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة:٢] أي: قاصدين البيت الحرام.

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١٩٧٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ برقم: (٤٧٤٢)، وابن خزيمة في صحيحه برقم: (١١٧٩)، والحاكم في المستدرك برقم: (١١٧٦)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٧٥٣) (٤٠٨٤).

(٢) تاج العروس (٩/ ٣٦)، ولسان العرب (٣/ ٣٥٣).

(٣) لسان العرب (٣/ ٣٥٣).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٣٥٣).

(هـ) القاصِد: السّهْل القريب

تقول: سَفَرٌ قاصِدٌ: سَهْلٌ قَرِيبٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: ٤٢]، وقال ابن عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَفَرًا قَاصِدًا أَي: غير شاقٍّ، ويقال: بيننا وبيْن الْمَاء ليلة قَاصِدَةٌ، أَي: هَيِّنَة السَّيْر لا تَعَب ولا بُطء»(١).

(٦) القَصيد من الشِّعْر:

ما تمّ شطر أبياته، وسمّي بذلك لكماله وصحة وزنه، قال ابن جِنِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمي قَصيدًا لأنه قَصَد واعتمد..»، وقيل: سمّي الشِّعر التامّ قَصيدًا؛ لأن قائله جعله من باله فقَصَد له قَصْدًا ولم يحتسه حسيا على ما خطر بباله وجرى على لسانه، بل روى فيه خاطره واجتهد في تجويده ولم يقتضبه اقتضابا، فهو فَعِيلٌ من القَصْد وهو الأَمُّ(٢).

فالمقاصد في اللغة: يراد بها أغراض الكلام ومراميه، وغاياته التي يتوجه إليها، وهو: «ما لأجله وجود الشيء»(٣)، وهي تعني: «المهمات

---

(١) العين (١/ ٣٧٧)، وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٤٩٠)، ولسان العرب (٣/ ٣٥٣، ٣٥٤).

(٢) لسان العرب (٣/ ٣٥٤).

(٣) التعريفات (ص: ١٦١).

المقصودة»[١]، والتوجه نحو الشيء وقَصْده وأَمِّه دون غيره، فهذه المعاني هي التي ترتبط ببحثنا هذا بصورة كبيرة من التوجه نحو غايات الكلام وحكمه، والمعنىٰ الذي يؤمّ إليه الكلام ويراد به[٢].

ثانيًا: المقاصد في الاصطلاح:

مصطلح **المقاصد** استعمله علماء التفسير والدراسات القرآنية، وعلماء الفقه وأصوله، بصورة واضحة، فاستخدم عند التفسير مضافًا للقرآن الكريم، وعند علماء الأصول مضافًا للشريعة، ولكلٍّ منهما معنىٰ مختلف عن الآخر من حيث الدلالة الاصطلاحية، إليك بيان ذلك.

أ- مفهوم مقاصد الشريعة:

لم يكن لمقاصد الشريعة تعريفٌ اصطلاحيٌّ محدّدٌ عند المتقدمين الذين تكلموا عن مقاصد التشريع كالغزالي والشاطبي، وإنما حاول المتأخرون أن يضعوا له تعريفًا اصطلاحيًا، ويعتبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أوائل من سعىٰ لذلك، فقال: «مقاصد التشريع العامة هي: المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصّ ملاحظتُها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٦٦).

(٢) انظر: التعريفات (ص: ١٦١).

في هذا أيضًا معانٍ من الحِكَم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواعٍ كثيرةٍ منها»[١].

وعرّفها بعده الشيخ علاّل الفاسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعريف مختصر، فقال: «المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حُكم من أحكامها»[٢]، ثم جاء الشيخ أحمد الريسوني فعرَّفها بقوله: «الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»[٣]، ومن خلال استقراء ما كتبه علماء الشريعة حول مصطلح المقاصد، نجده قد تلخَّص في معنيين جاءت علىٰ النحو الآتي:

الأول: غاية الأحكام التشريعية: قصدوا بها الغايات المقصودة من التشريع في جميع أحوال أحكامه، أو معظمها، بما تحققه الأوامر من مصالح، وما تدفعه النواهي من مفاسد[٤]، وفي هذا يقول العز ابن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمُعْظَمُ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْأَمْرُ بِاكْتِسَابِ الْمَصَالِحِ وَأَسْبَابِهَا، وَالزَّجْرُ عَنْ اكْتِسَابِ الْمَفَاسِدِ وَأَسْبَابِهَا»[٥]، وقال في نفس المعنىٰ: «وَلَوْ تَتَبَّعْنَا مَقَاصِدَ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِعِلْمِنَا أَنَّ اللهَ أَمَرَ بِكُلِّ خَيْرٍ دِقِّهُ وَجِلِّهُ، وَزَجَرَ عَنْ كُلِّ شَرٍّ

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية (ص: ٥١).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها (ص: ٣).

(٣) نظرية المقاصد عند الشاطبي (ص: ٧).

(٤) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٨ - ٩).

(٥) المصدر السابق (١/ ٨).

دَقَّهُ وَجَلَّهُ، فَإِنَّ الْخَيْرَ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ، وَالشَّرَّ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ جَلْبِ الْمَفَاسِدِ وَدَرْءِ الْمَصَالِحِ..، وَأَجْمَعُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِلْحَثِّ عَلَىٰ الْمَصَالِحِ كُلِّهَا وَالزَّجْرِ عَنْ الْمَفَاسِدِ بِأَسْرِهَا قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]»[١].

وتنقسم عندهم المقاصد إلىٰ قسمين:

المقاصد العامة: وهي مراعاة في كل أحكام الشريعة، أو الغالب الأعم من أحكامها، مثل حفظ الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، ومثل التيسير ورفع الحرج وغيرها، «فلا تتوقف علىٰ جزء معين من الأوامر والنواهي، أو قضية اصطلاحية بعينها، بل هي غايات تستكشف من أغلب نصوص الشرع أو جملتها»[٢].

والمقاصد الخاصة: وهي التي راعاها التشريع من خلال بعض تشريعاته الخاصة، كمقصد الزكاة والصدقة، ومقاصد الحج، ومقاصد القصاص وغيرها[٣]، فمثلا يقولون مقاصد القضاء أو حكمته: قمع الظالم، ونصر

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٩٠).

(٢) أعمال الفهم المقاصدي للقرآن الكريم عند المُفسّرين للأستاذ مصطفي محمد حديد (ص: ١٣٨)، مجلة علوم الشريعة بالجامعة الأسمرية الإسلامية (العدد: ١ - ٢٠١٥م).

(٣) انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص: ١١٩)، والإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية (١/ ١٦١)، ومقاصد الشريعة (ص: ٥١).

المظلوم، وقطع الخصومات، ونجد بين العلماء تباينًا كبيرًا في تحديد مضمون المقاصد العامة والخاصة؛ ولكن كل ما كان المقصد أعم في كل أبواب الشريعة كان هو الأهم.

والثاني: الحِكَم والأسرار من وراء التشريع: يقصد العلماء بذلك المعاني والحِكَم والأسرار التي راعاها الشارع عند كل حُكم من أحكامه، فحكمة الأكل والشرب بقاء البدن، وحكمة النكاح حفظ النسل، وحكمة القصاص حفظ الأنفس وهكذا[1].

فالله تعالىٰ ما أمر بأمر إلا وفيه مصلحة للعباد عاجلة أو آجلة، وما نهىٰ عن شيء إلا وفيه مفسدة عاجلة أو آجلة، فإظهار هذه الجوانب مما يزيد يقين المؤمن نحو التشريع الرباني، يقول العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمَنْ تَتَبَّعَ مَقَاصِدَ الشَّرْعِ فِي جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ، حَصَلَ لَهُ مِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ اعْتِقَادٌ أَوْ عِرْفَانٌ بِأَنَّ هَذِهِ الْمَصْلَحَةَ لَا يَجُوزُ إهْمَالُهَا، وَأَنَّ هَذِهِ الْمَفْسَدَةَ لَا يَجُوزُ قُرْبَانُهَا»[2].

وهذه عبّر عنها العلماء بألفاظ متنوعة منها: «غرض الشارع»، و«مقصود الشارع»، «حِكم التشريع»، «علة التشريع»، و«أسرار التشريع»، و«الغاية والمصلحة»، و«مراد الشارع»، وغيرها.

---

(١) انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص: ١٤).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٨٩).

فمصطلح المقاصد عند علماء الشريعة إذا أطلق اتجه نحو: الغايات العامة والخاصة للتشريع، أو الحِكم والأسرار من وراء التشريع.

ب- مفهوم المقاصد الكبرىٰ للقرآن الكريم:

مفهوم مقاصد القرآن وإن كان إطلاقه قديمًا عند علماء التفسير والدراسات القرآنية، وتكلموا عن مضمونه؛ لكن لم يكن هنالك تعريف محدد لهم، وهي العادة المطّردة في نشأة العلوم، حيث تبدأ الفكرة عند عالم، ثم تتطور، ثم تحرر فيما بعد في جوانبها المتنوعة، وقد دار كلامهم عن المقاصد حول الكليّات الأساسية التي دار حولها القرآن، أو الغايات الكبرىٰ المقصودة من وراء الخطاب القرآني، وقد جاءت بعض التعريفات المعاصرة التي حاول من خلالها بعض العلماء وضع مصطلح لهذا العلم منهم: الشيخ الدكتور عبد الكريم حامدي، فعرّفه بقوله: «الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد»[1].

وعرّفها كذلك الدكتور عز الدين بن سعيد كشنيط الجزائري بقوله: «الغايات التي أنزل القرآن لأجل تحقيقها»[2].

فالتعريفان نحيا نحو تعريف مقاصد الشريعة فيما يتعلق بالأوامر والنواهي؛ التي ترتبط مباشرة بمصالح العباد.

---

(١) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام (ص: ٢٩).

(٢) أمهات مقاصد القرآن (ص: ٦٨).

وعرّفها الشيخ مسعود بودوخة بقوله: «القضايا الأساسية، والمحاور الكبرىٰ التي دارت عليها سُور القرآن الكريم وآياته؛ تعريفًا برسالة الإسلام، وتحقيقًا لمنهجه في هداية البشر»[١].

وهذا التعريف من وجهة نظر الباحث من أفضل التعريفات لمقاصد القرآن الكبرىٰ في بيان المفهوم العام، مع ما فيه من تكرار وتطويل وتحفّظ علىٰ اختيار بعض الألفاظ؛ لأن القضايا الأساسية هي المحاور الكبرىٰ، وكلمة قضايا ومحاور التعبير بها ليس دقيقًا، وكذلك قوله: «تعريفًا برسالة الإسلام، وتحقيقًا لمنهجه في هداية البشر» مع ما فيها كذلك من تكرار، وزيادة شرح وتفصيل يمكن الاستغناء عنه، وهو تحديد قد تعتريه اعتراضات.

ويمكن تعريف مقاصد القرآن الكبرىٰ بـ: **(الغايات الكليّة التي عليها مدار التنزيل).**

فقولنا: (الغايات) لأنها قضايا عامة تنتهي إليها جميع موضوعات القرآن الرئيسة، وسوره وما تفرّع عنهما من معانٍ ومسائل جزئية، فالموضوعات قد تكون أساسية، لكنها لا تكون غائية، ومن هنا كان التعبير بالغايات أدق باعتبار ما تنتهي إليها جميع الموضوعات.

---

(١) (جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن)، بحث مقدّم للمؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن وعلومه؛ الذي كان بعنوان: «جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه»، (فاس – المغرب)، (ص: ٩٥٦).

وقولنا: (الكليّة) لنخرج الغايات الجزئية أو الخاصة التي تحدَّث عنها العلماء عند مقاصد السور، أو بعض الأحكام والموضوعات والآيات.

وقولنا: (عليها مدار التنزيل) لأن جميع معاني آيات وموضوعات وسور القرآن تدور حولها وترجع إليها، فهي كالأم بالنسبة لها.

ولم نقيِّد ذلك بمصالح العباد؛ لأن كل ما في الكتاب جاء ليحقق مصالح العباد؛ فلا داعي لهذا القيد والتخصيص.





المطلب الثاني: الفرق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة

بعد أن عرفنا مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة، نبيِّن هنا الفرق بينهما بصورة واضحة، والذي يظهر في عدة نقاط من أهمها:

أولًا: من حيث العموم والخصوص:

فإطلاق مصطلح المقاصد عند علماء الأصول والفقه له معنىٰ خاص به، فلفظ «الشريعة» يطلق في القرآن واللغة ويراد به معنىٰ عامًا، وهو «ما شرعه الله تعالىٰ لعباده من الدين، أو السنة، أو البيِّنة»، وقد يُطلق ويراد به معنىٰ خاصًا وهو: «الأمر، والنهي، والحدود، والفرائض»، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، فهذا في المعنىٰ العام، وفي المعنىٰ الخاص قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي المراد بالشريعة أربعة أقاويل: أحدها: أنها الدين، قاله ابن زيد؛ لأنه طريق للنجاة، الثاني: أنها الفرائض والحدود والأمر والنهي، قاله قتادة لأنها طريق إلىٰ الدين، الثالث: أنها البيّنة، قاله مقاتل، لأنها طريق الحق، الرابع: السنّة، حكاه الكلبي، لأنه

يستنّ بطريقة من قبله من الأنبياء»[١].

إلا أنَّ «الشريعة» في مصطلح الفقهاء يراد بها المعنىٰ الخاص وهو: «الأحكام التكليفية العملية»[٢]، ومن هنا صار الفرق بينهما من حيث عموم مقاصد القرآن أنه يشمل مسائل العقيدة والشريعة، والمقاصد الكليّة والجزئية، بينما تنحصر مقاصد الشريعة في مصطلح علماء الأصول والفقه في الجوانب التشريعية العملية، فمقاصد الشريعة هي جزء من مقاصد القرآن في كلياتها الثلاثة التي تمثلها الضروريَّات والحاجيَّات والتحسينات، قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ رُجُوعِ الشَّرِيعَةِ إِلَىٰ كُلِّيَّاتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ، وَجَدْنَاهَا قَدْ تَضَمَّنَهَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ الكمال، وهي: الضروريات، والحاجيات، والتحسينات، وَمُكَمِّلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا»[٣].

ثانيًا: اختلاف غرض المقاصد بين الفريقين:

فالعلماء الذين كتبوا في مقاصد التشريع وعلىٰ رأسهم الإمام الشاطبي في كتابه: «الموافقات»، والعلامة الطاهر بن عاشور في كتابه: «مقاصد الشريعة»، حاولوا جمع ما تناثر من مسائل الفقه في الأحكام العملية وما يتعلق به في كليَّات ومقاصد؛ تضمها وتجمع جزئياتها أصول كليّة للتفقه، قال ابن عاشور

(١) النكت والعيون (٥/ ٢٦٤).

(٢) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية (ص: ٢٠).

(٣) الموافقات (٤/ ١٨٢).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن غرض كتابه: «هذا كتاب قصدتُ منه إلىٰ إملاء مباحث جليلة من مقاصد الشريعة الإسلامية، والتمثيل لها، والاحتجاج لإثباتها، لتكون نبراسًا للمتفقِّهين في الدين، ومرجعًا بينهم عند اختلاف الأنظار وتبدل الأعصار، وتوسُّلًا إلىٰ إقلال الاختلاف بين فقهاء الأمصار، ودُربة لأتباعهم علىٰ الإنصاف في ترجيح بعض الأقوال علىٰ بعض عند تطاير شرر الخلاف»[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنّي قصدتُ في هذا الكتاب خصوص البحث عن مقاصد الإسلام من التشريع في قوانين المعاملات والآداب، التي أرىٰ أنها الجديرة بأن تخصَّ باسم الشريعة، والتي هي مظهر ما راعاه الإسلام من تعاريف المصالح والمفاسد، وترجيحها، مما هو مظهر عظمة الشريعة الإسلامية بين بقية الشرائع والقوانين، والسياسات الاجتماعية، لحفظ نظام العالم وإصلاح المجتمع»[٢]، فقد كان غرضهم من الكتابة في مقاصد الشريعة جمع ما تناثر في موضوعات الفقه في كليّات جامعة لا يتجاوزون في ذلك الأحكام العملية التكليفية، بخلاف من يتحدثون عن مقاصد القرآن الكريم؛ فإنهم يتحدثون عن مقاصد الدين والتشريع كله، وتوجهوا بكتابتهم نحو غاياته الكبرىٰ، وموضوعاته الأساسية[٣].

فغرض العلماء الذين كتبوا عن مقاصد القرآن الكريم؛ كان هو جمع ما

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية (٣/ ٥).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٨).

(٣) انظر: أمهات المقاصد (ص: ٧٧-٧٩).

ورد في آيات القرآن وموضوعاته وسوره في غايات كبرىٰ محددة، يجمع جميع ما جاء من معانٍ متنوعة.

ثالثًا: اختلاف مفهوم التعبير بالغايات عند كلٍّ منهما:

نجد كليهما في تعريف المقاصد قد عبَّر عنها بالغايات؛ ولكن الذين كتبوا عن مقاصد الشريعة جعلوا مفهوم الغايات عندهم يدور حول غايات التشريع، والمعاني الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، أو الحِكم والعلل التي قصدها الشارع في كل حُكم من الأحكام، بينما الحديث عن الغايات عند من كتبوا في مقاصد القرآن؛ قصد به موضوعاته الأساسية وقضاياه الكبرىٰ التي جاء القرآن لتقريرها وبيانها للناس.

رابعًا: اختلاف مصدر استخراج المقاصد:

الذين تكلموا عن مقاصد الشريعة جعلوا مصدرهم في استخراجها مجموع أدلة الوحي -الكتاب والسنة-، بينما من تحدثوا عن مقاصد القرآن جعلوا مصدرهم القرآن الكريم، ولعل عدم إدخال السنة عند علماء التفسير لأنه ينظرون للقرآن نظرة كلية، وليست أحكام جزئية، والسنة عندهم في الجملة هي بيان للقرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ومن هنا كانت مقاصد القرآن هي مقاصد السنة.

خامسًا: اختلاف الأنواع والتقسيمات:

فالحديث عن مقاصد القرآن دار حول مقاصد الآيات، ومقاصد السور، ومقاصد القرآن الكبرى، وكيف يمكن الوصول إليها، والكشف عنها في ضوء نصوص الوحي، خلاف الذين تكلموا عن مقاصد الشريعة، قد دار كلامهم في تقسيماتها بين الضروريات والحاجيات والتحسينات، قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ رُجُوعِ الشَّرِيعَةِ إِلَىٰ كُلِّيَّاتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ وَجَدْنَاهَا قَدْ تَضَمَّنَهَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ الكمال، وهي الضروريات، والحاجيات والتحسينات، وَمُكَمِّلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا»[1].



(١) الموافقات (٤/ ١٨٢).



المطلب الثالث:
الفرق بين مقاصد القرآن الكبرى والصغرى

عندما يطلق مصطلح مقاصد القرآن الكريم يراد به: المقاصد الكبرىٰ والصغرىٰ، أو العامة والخاصة، أو الكليّة والجزئية؛ وذلك لأن العلماء قسَّموا مقاصد القرآن إلىٰ مقاصد كبرىٰ، وهي التي سبق تعريفها، وإلىٰ مقاصد صغرىٰ، أو خاصة، أو جزئية، وهي التي تتعلق بالآيات والسور.

إليك أبرز الفروق بينهما في النقاط الآتية:

أولًا: من حيث العموم والخصوص:

فمقاصد القرآن الكبرىٰ، عامة وشاملة لكلِّ ما جاء في سور القرآن الكريم وآياته، فجميع الآيات والسور تنتهي إليها، بينما مقصد الآيات والسور هو غاية مضمون الآيات والسورة، والمعنىٰ الجامع الذي تلتقي حوله جميع آيات وموضوعات السورة، ومن هنا سميت الأولىٰ: بمقاصد القرآن الكبرىٰ أو العامة، والثانية: بمقاصد القرآن الصغرىٰ أو الخاصة.

ثانيًا: من حيث أولويات الموضوعات:

فمقاصد القرآن الكبرىٰ لها أولوية عالية، وهي مترئسة لسائر موضوعات القرآن الكريم، بينما مقاصد الآيات والسور دونها في الأولويات، وقد احتوت سورة الفاتحة علىٰ مقاصد القرآن الكبرىٰ فأخذت نفس الأولوية، واحتوت بعض السور علىٰ أهم مقصد من مقاصد القرآن كسورتي الإخلاص والكافرون التي خلصتا في التوحيد فأخذتا منزلة متقدمة بين السور بعد الفاتحة، ومن هنا كان الحديث عن مقصد هذه السور مدخلًا لعدد كبير من العلماء للحديث عن مقاصد القرآن كما سيأتي تفصيل ذلك.

ثالثًا: من حيث اهتمام العلماء:

نجد الحديث عن مقاصد القرآن الكبرىٰ والاهتمام به في كتب العلماء؛ أقدم وأكثر من الحديث عن مقاصد الآيات والسور، لما لها من أثر كبير في فهم جميع القرآن، وترتيب أولويات الخطاب الرباني، بينما الكلام عن مقاصد الآيات والسور جاء بعده بفترة متأخرة، والاهتمام به أقل، وما زال البحث فيه يحتاج إلىٰ مزيد تأصيل وتحرير في مقاصد كثير من الآيات والموضوعات، والقصص والأحكام والسور، خاصة السور الطوال.

رابعًا: اختلاف طرق الوصول للمقاصد العامة والخاصة:

فمقاصد القرآن الكبرىٰ يتطلب الوصول إليها استقراء جميع الآيات والموضوعات والسور، بينما مقاصد السورة يتطلب الوصول إليها استقراء آيات وموضوعات السورة، وقد يكون اسمها، أو افتتاحيتها وخاتمتها؛ دالًا علىٰ مقصدها.





المطلب الرابع:
الفرق بين مقاصد القرآن والتفسير المقاصدي

التفسير المقاصدي هو نوع جديد في الدراسات القرآنية لم يتفق العلماء حول مصطلحه؛ ولكن مما لا يختلف حوله أنه نوع من اتجاهات التفسير بالرأي مثل الاتجاه اللغوي، والفقهي، والعلمي وغيره؛ لأنه لا يمكن فهم المقصد دون الاستنباط وإعمال العقل، ومن هنا فهو اتجاه وليس نوعًا مستقلًا في التفسير، كالتفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، يعتني فيه المُفسّر بصورة كبيرة بإبراز مقاصد القرآن العامة والخاصة والجزئية، مع النظر في مآلات الأمور وحِكم التشريع وأسراره، ومدى اعتبار المُفسّر للمقاصد في الترجيح والاختيار والاستنباط وغيرها في تفسيره، وهل هو ينطلق من نظرة مقاصدية شاملة، أم هي اجتهادات متفرقة في تفسيره؟

يقول الدكتور مشرف أحمد جمعان الزهراني: «التفسير المقاصدي هو: التفسير الذي يعتني بمقاصد الشريعة وكلياتها في القرآن الكريم، ويراعي علل الأحكام الشرعية المتعلقة بها، مع سائر العلوم والأدوات الضرورية للتفسير»[(١)].

---

(١) التفسير المقاصدي تأصيل وتطبيق، مجلة الدراسة الإسلامية بالرياض، (المجلد: ٢٨/ العدد:١/ ١٤٣٧هـ).

وهذا التعريف لا يخلو من ملحظ؛ لأنه جعل الاعتناء فقط بمقاصد الشريعة وكلياتها، بينما الاتجاه المقاصدي يهتم بجوانب المقاصد مطلقًا عند علماء الدراسات القرآنية وعلماء الشريعة، ويصطحب ذلك في فهم المعنىٰ في الترجيح والاختيار والاستنباط وغيره.

وقيل في تعريفه هو: (نوع من أنواع التفسير يهتم ببيان المقاصد التي تضمَّنها القرآن، وشُرعت من أجلها أحكامه، ويكشف عن معاني الألفاظ، مع التوسّع في دلالاتها، مراعيًا في ذلك قواعد التفسير بالمأثور، والسياق، والمناسبات)[1].

وغيرها من تعريفات متنوعة، كلها تتفق علىٰ أنه تفسير يعتني بإبراز مقاصد القرآن والشريعة بإبراز غايتهما، والاستفادة من ذلك في إظهار محاسن الشريعة.

ومن خلال الاستقراء نجد أبرز الفروق بينه وبين مقاصد القرآن العامة تتلخص في الآتي:

أولًا: اختلاف الموضوع:

فمضمون مقاصد القرآن يختلف عند العلماء عن مضمون التفسير المقاصدي، حيث يشمل الأول غايات القرآن وموضوعاته الكبرىٰ التي

---

(١) التفسير المقاصدي للقرآن الكريم (ص ٥٧-٥٨).

دارت حولها الآيات والسور، وجاء القرآن لتحقيقها أساسًا، بينما التفسير المقاصدي يهتم بأغراض الآيات والموضوعات والسور، ووجوه الحكمة، وما وراء التشريع من معانٍ وأسرار.

ثانيًا: اختلاف الغايات:

فالعلماء الذين يبحثون عن مقاصد القرآن والسور؛ يريدون بعد تحريرها أن تكون معالم حاكمة لفهم القرآن الكريم، وجامعة لما تفرَّق من جزئيات المعاني، وتنبني عليها ترجيحات واختيارات واستنباطات وغيرها، بينما غاية التفسير المقاصدي إبراز مدىٰ عناية المُفسّر بمقاصد القرآن، وغايات وحِكم التشريع وأسراره، بما يظهر قيمة التفسير وميزته العلمية في هذا الجانب، والاستفادة منه في إظهار عظمة ومحاسن الشريعة، والترغيب في الاستجابة لله والرسول بما يؤثّر في الجانب الإقناعي بهدىٰ القرآن الكريم.

ثالثًا: اختلاف طرق الاستخراج:

فطرق الوصول لمقاصد القرآن والسور تختلف عن طرق الوصول للاتجاه المقاصدي في التفسير، فالأول يتطلب استقراءً وفهمًا دقيقًا لمعاني الآيات والسور للوصول لغاياتها الكبرىٰ، بينما الثاني يتطلب الوصول إليه استقراءً عامًا للتفسير لمعرفة جهود المُفسّر في إبراز مقاصد القرآن، وما وراء الألفاظ من معانٍ وحِكمٍ وأسرار، والاستفادة من ذلك في فهم المعنىٰ.

رابعًا: البعد التاريخي لكلٍّ منهما:

فالحديث عن مقاصد القرآن قديم عند العلماء، وكلامهم فيه واضح من حيث مفهومه، وتسلسل فكرته، بينما الكلام عن التفسير المقاصدي يصعب إرجاعه لتاريخ محدد في نشأته؛ ولكنه برز متأخرًا وبصورة واضحة خلال مدرسة: محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وأحمد مصطفىٰ المَراغي، ومن جاء بعدهم.

خامسًا: اختلاف أثرهما:

فأثر معرفة مقاصد القرآن ممتد لكل آيات وسور وموضوعات القرآن الكريم، فهو مؤثّر في كل الاتجاه الهُدائي للقرآن الكريم، بينما الاتجاه المقاصدي لا يتعدىٰ الأثر والدراسة في إبراز عناية المُفسّر أو المفسّرين بمدىٰ خدمتهم لهذا الاتجاه من اتجاهات التفسير، وكيفية توظيفهم له في فهم القرآن الكريم، ومدىٰ الإفادة من ذلك.





المطلب الخامس: الفرق بين مقاصد القرآن والهدايات القرآنية

الاهتمام بما يرشد إليه المعنىٰ من فوائد وهدايات عملية؛ اتجاه له حضوره عند المفسّرين، بين مقلٍّ ومكثرٍ فيه؛ ولكن برز في الفترة الأخيرة العناية به والتأكيد عليه من خلال «مدرسة المنار» التي كان يقودها الشيخ محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا بصورة واضحة من خلال دعواتهما الإصلاحية؛ ولكن ظلّ كلامهما من باب إبراز أهميته والتأكيد عليه دون تأصيل واضح له، ثم قامت «جامعة أم القرىٰ» ممثلة في «كرسي الهدايات القرآنية» بالتأصيل له[1]، ونشر الأبحاث العلمية حوله، وعقدت له الملتقيات والمؤتمرات العلمية المحلية والعالمية، وأنشأت موسوعة علمية عالمية له، سمتها: «الموسوعة العالمية في الهدايات القرآنية» من خلال ستين رسالة دكتوراه، شارك في إعدادها طلاّب ومشرفون من أكثر من ثلاثين جامعة من كل أنحاء العالم، في تجربة عالمية لم يسبق لها مثيل في الاجتهاد الجماعي العالمي، وفق خطة ومنهجية موحدة في البحث والكتابة، حرصوا من خلالها علىٰ جمع

(١) انظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، للأستاذ الدكتور: طه عابدين طه وآخرون، وغيرها من إصدارات الكرسي المتنوعة في خدمة هذا المجال.

ما تناثر من هدايات في كتب السابقين أولًا، ثم إفراغ الوسع في استنباطات هدايات جديدة وفق ما حرّروه من طرق العلماء، وما قعّدوه من أصول وقواعد وضوابط، مع محاولة جادة لربط هدايات القرآن بالواقع بما يسهم في حل مشكلاته، فجاء هذا المشروع بما يؤسس لهذا الاتجاه بصورة كبيرة في مسيرة التفسير في الفترة القادمة بإذن الله، خاصة مع تحوّل كثير من كتابات المختصين نحو اتجاه التدبر والعمل بالقرآن الكريم، والسعي لاستحضار هداياته في حلِّ مشكلات الواقع المعاصر، ومن هنا كان من الأهمية بمكان التفريق بينه وبين الاتجاه المقاصدي في التفسير:

أولًا: المقاصد يبحث فيه عن الموضوعات الأساسية والقضايا الكليّة والكبرىٰ التي تنتهي عندها معاني القرآن أو السورة، أو ما وراء المعاني من غايات وحِكم وأسرار، والهدايات يبحث فيها عمَّا تدل عليه الآية من فوائد من خلال ألفاظها وجملها وأوجه قراءاتها، وأسلوبها وما يتعلق بها من قرائن، أو من خلال مجموعة آيات في معنىٰ يضمها.

ثانيًا: مقاصد القرآن يلاحظ فيه التئام موضوعات القرآن أو السورة كاملة حوله، والهدايات الجزئية هي أوزاع من المعاني المتفرقة في أبواب شتىٰ من العلوم الشرعية، والهدايات الكليّة يلاحظ فيها التئام المعنىٰ الذي يربط بين أجزاء الموضوع فقط.

ثالثًا: مقاصد القرآن يهتم فيها بالكليّات والأساسيات الجامعة للمعاني، بينما الهدايات يهتم فيها بالجوانب التفصيلية العملية التطبيقية؛ لأن الهداية هي دلالة مرشدة لما يوصل لكل خير، ويمنع من كل شر.

رابعًا: طرق الوصول لمقاصد القرآن الكريم طرق محددة يعتمد غالبًا فيها علىٰ استقراء آيات وسور القرآن بسورة كاملة، بينما الهدايات تقوم علىٰ طرق كثيرة مختلفة تمامًا عن طرق الوصول للمقاصد، أوصلها بعض الباحثين إلىٰ سبع عشرة طريقة[١].

خامسًا: البحث في موضوع مقاصد القرآن أو السور محصور ومحدد جدًا، بينما الهدايات تظل موضع نظر واستنباط العلماء مدىٰ الدهر.



---

(١) انظر: طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها، للأستاذ الدكتور: طه عابدين طه، دراسة تأصيلية تطبيقية.



المبحث الثاني:

مقاصد القرآن:

فوائدها وأقسامها وأنواعها





المطلب الأول:
فوائد معرفة مقاصد القرآن

موضوع مقاصد القرآن الكبرىٰ ليس موضوعًا ثانويًا في الدراسات القرآنية؛ بل هو موضوع له أهميته الخاصة، وقيمته العلمية العالية؛ وذلك لما يترتب علىٰ معرفته من فوائد كثيرة، إليك بعض هذه الفوائد:

أولاً: جمع خلاصة ما تفرَّق وتوزَّع من معان وهدايات قرآنية في كليّات جامعة:

فالمقاصد هي المعاني الجامعة لهدايات وموضوعات القرآن الكثيرة؛ التي بسطها العلماء في كتب التفسير المتنوعة وغيرها عبر التاريخ، فتربط بينها، وتبيّن زبدتها في غايات جامعة، وبناء كلي تتكامل فيه جهود الأجيال، فهي تمثل خلاصة البحث والنظر في دلالات القرآن الكريم، وتجمع وتضع وترتب بين يديك موضوعات القرآن الأساسية، بصورة لا تهتدي إليها بغير هذا النوع من الدراسة، فجمع فروع وجزئيات المسائل علىٰ أصولها وقواعدها الكليّة يورث فهمًا راسخًا للدين، ويمنع من الاضطراب والانحراف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كليّة تُردّ إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقىٰ

في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل مظلم في الكليّات فيتولّد فساد عظيم»[(١)]، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلوم أن الأصول والقواعد للعلوم، بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلا بها، والأصول تُبنىٰ عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوىٰ بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوىٰ، وينمي نماء مطّردًا، وبها تُعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيرًا»[(٢)].

ثانيًا: تيسير وتسهيل فهم القرآن للناس:

تيسير فهم الإسلام للناس مقصد ينبغي أن تتضافر حوله الجهود، وهو أصل راعاه القرآن في سائر خطابه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم:٩٧]، وهو ما أكد عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال سنته، فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**»[(٣)]، وهذا عام في جميع الأمور، وأكد عليه في التعليم بصورة خاصة وبيّن أنه بُعث معلّمًا

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٢٣٠).

(٢) طريق الوصول (ص: ٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ)، حديث رقم: (٦٧)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، بابٌ في الأمر بالتيسير وترك التنفير، حديث رقم: (٤٦٢٦).

ميسّرًا فقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**»(١)، وقد كان هذا هو هدي النبي ﷺ العملي، كذلك في عرض الإسلام للناس بصورة ميسّرة حتىٰ يفهمه الجميع ويعمل به، وهذا هو الذي يساعد علىٰ نشر الحق والعمل به، وكثرة التفريعات، ومناقشة جزئيات المسائل والتوسع فيها في كتب التفسير، كانت علىٰ حساب خدمة الهدايات والكليّات، ونتج عنها زهد للاستفادة منها حتىٰ عند طلبة العلم فضلا عن غيرهم، واستنزفت طاقات وأوقات في أمور لا تعود بفائدة تذكر، في الوقت الذي نجد أهل الباطل ييسرون علومهم للناس ويزينونها حتىٰ تنتشر في وسط أكبر قطاع من الناس، يقول محمد رشيد رضا: «إنّ من سوء حظ المسلمين أنّ أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب، وقواعد النحو، ونكت المعاني، ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها علىٰ بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن؛ هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية، وغيرها من العلوم الحادثة في الملة علىٰ ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق، باب بيان أنّ تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، حديث رقم: (٣٧٦٣).

وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية؛ فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة، كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن»(١).

ونتيجة لما سبق ذكره نحن في حاجة ماسة لمعرفة مقاصد القرآن الكبرىٰ، وتيسير وتسهيل فهم القرآن للناس من خلالها حتىٰ يسهل فهم أصول وقضايا الدين الكبرىٰ، وموضوعاته الأساسية التي ينتهي إليها الخطاب القرآني من وراء موضوعاته، وينبني عليها فهم الإسلام وحُسن تصوّر أركانه وفرائضه وواجباته بصورة ميسّرة، ويجعل كل متدبر لكلام الله تعالىٰ يأتي إليه من بابه ومدخله؛ الذي ييسر عليه التوغل في معانيه وهداياته بكل يُسْر.

كما أن إبراز المقاصد الكبرىٰ للمسلمين جميعًا، يسهم بصورة كبيرة في ترسيخ الإسلام في العقول اعتقادًا وعملًا؛ لأن الكليّات هي التي عليها مدار الصلاح والإصلاح، وحُسن تصور بناء الإسلام، وإليها ينتهي مقاصد الطالبين، والموضوعات التفصيلية والجزئية هي تابعة لها ومتفرعة عنها.

---

(١) تفسير المنار (١/ ٨).

ثالثًا: اتباع منهجٍ أقوم في فهم الخطاب القرآني:

هنالك طرق لا يتحقق الفهم السليم للقرآن الكريم إلا من خلالها، من ذلك: البحث عن المعاني الجامعة لما تعدَّد من معانٍ في الجملة والآية، وجمع آياته نحو موضوعاتها في الموضع الواحد من السورة فيما يضمها ويناسق بينها، ثم جمع الموضوعات المتنوعة في السورة نحو غاية واحدة، ثم تجمع موضوعاته وسوره في مقاصد كبيرة تجتمع فيها جميع معاني القرآن الكريم، فالقرآن وإن تنوع في جمله وآياته وموضوعاته وسوره، فهو كلام واحد يجتمع في مقاصد محددة، ففهم القرآن بطريقة صحيحة يتطلب فهمه في ضوء مقاصده المتنوعة التي تلتقي في النهاية عند مقاصده الكبرىٰ، قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَالَّذِي يَكُونُ عَلَىٰ بال من المستمع والمتفهِّم الالتفات إِلَىٰ أَوَّلِ الْكَلَامِ وَآخِرِهِ، بِحَسَبِ الْقَضِيَّةِ وَمَا اقْتَضَاهُ الْحَالُ فِيهَا، لَا يَنْظُرُ فِي أَوَّلِهَا دُونَ آخِرِهَا، وَلَا فِي آخِرِهَا دُونَ أَوَّلِهَا، فَإِنَّ الْقَضِيَّةَ وَإِنِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ جُمَلٍ؛ فَبَعْضُهَا مُتَعَلِّقٌ بِالْبَعْضِ لِأَنَّهَا قَضِيَّةٌ وَاحِدَةٌ نَازِلَةٌ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَلَا مَحِيصَ لِلْمُتَفَهِّمِ عَنْ رَدِّ آخِرِ الْكَلَامِ عَلَىٰ أَوَّلِهِ، وَأَوَّلِهِ عَلَىٰ آخِرِهِ، وَإِذْ ذَاكَ يَحْصُلُ مَقْصُودُ الشَّارِعِ فِي فَهْمِ الْمُكَلَّفِ، فَإِنْ فَرَّقَ النَّظَرَ فِي أَجْزَائِهِ؛ فَلَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَىٰ مُرَادِهِ، فَلَا يَصِحُّ الِاقْتِصَارُ فِي النَّظَرِ عَلَىٰ بَعْضِ أَجْزَاءِ الْكَلَامِ دُونَ بَعْضٍ، إِلَّا فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ النَّظَرُ فِي فَهْمِ الظَّاهِرِ بِحَسَبِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَا يَقْتَضِيهِ، لَا بِحَسَبِ مَقْصُودِ الْمُتَكَلِّمِ»[1].

---

(١) الموافقات (١/ ١٤٩).

رابعًا: بناء مَلَكة مهمّة في التدبر والاستنباط:

المشتغلون اليوم بالتفسير يحتاجون إلىٰ بناء مَلكات في التدبر والاستنباط، ومن تلك المَلَكات المهمة معرفة مقاصد القرآن، والانتباه لما وراء النص من مقاصد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن؛ تبيّن له المراد، وعرف الهدي والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»[١]، وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَالتَّدَبُّرُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنِ الْتَفَتَ إِلَىٰ الْمَقَاصِدِ»[٢]، وقال محمد رشيد رضا: «وتدبر الكلام هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها، وعاقبة العامل به والمخالف له»[٣].

والأمة في حاجة كبيرة لعقول تجتهد في فهم كتاب ربها، وتستنبط من هداياته ما يلبي حاجاتهم المتجددة، ويسهم في حل مشكلاتهم المتنوعة، حتىٰ يبقىٰ خالدًا متدفقًا بعطائه الممتد في تلبية حاجة البشرية، فرعاية ذلك في بناء علماء المستقبل من الأهمية بمكان، «حتىٰ تكون طبقات علماء الأمة صالحة -في كل زمان- لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين علىٰ استنباط الأحكام التشريعية»[٤] وغيرها، ولهم القدرة علىٰ عطاء متجدد

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٩٦).

(٢) الموافقات (١/ ١٢٤).

(٣) تفسير المنار (٥/ ٢٣٣).

(٤) التحرير والتنوير (٣/ ١٥٨).

لأمتهم من نور هذا الكتاب المبين، الذي «لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، ولَا تَفْنَىٰ عَجَائِبُهُ، وَلَا تُقْلِعُ سَحَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي آيَاتُهُ، وَلَا تَخْتَلِفُ دِلَالَاتُهُ، كُلَّمَا ازْدَادَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ تَأَمُّلًا وَتَفْكِيرًا زَادَهَا هِدَايَةً وَتَبْصِيرًا، وَكُلَّمَا بَجَسَتْ مَعِينُهُ فَجَّرَ لَهَا يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ تَفْجِيرًا، فَهُوَ نُورُ الْبَصَائِرِ مِنْ عَمَاهَا، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ مِنْ أَدْوَائِهَا وَجَوَاهَا، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ النُّفُوسِ، وَرِيَاضُ الْقُلُوبِ، وَحَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَىٰ بِلَادِ الْأَفْرَاحِ»[١]، وقال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِنَّمَا يَفْهَمُ بَعْضَ مَعَانِيهِ، وَيَطَّلِعُ عَلَىٰ أَسْرَارِهِ وَمَبَانِيهِ، مَنْ قَوِيَ نَظَرُهُ، وَاتَّسَعَ مجاله في الفكر وتدبَّره، وامتدّ باعه ووقَّت طباعه، وامتد في فنون الأدب، وأحتط بِلُغَةِ الْعَرَبِ»[٢].

خامسًا: العصمة من الانحراف والضلال:

معرفة مقاصد القرآن الكبرىٰ تمنع من الانحراف الفكري في الأمة الذي ذاقت منه الأمة الويلات في تاريخها، خاصة ما يتعلق بجوانب الغلو والتطرف، فما ضلت الخوارج والفرق المنحرفة إلا يوم أن اتبعوا متشابه الأدلة، ولم يردوها إلىٰ مُحْكَمات وكليّات الشريعة، قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن سبب ضلالهم: «فَقَدْ عرَّف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ لَهُمْ عَلَامَةً فِي صَاحِبِهِمْ، وَبَيَّنَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ فِي مُعَانَدَةِ الشَّرِيعَةِ أَمْرَيْنِ كُلِّيَّيْنِ:

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٦).

أَحَدُهُمَا: اتِّبَاع ظَوَاهِرِ الْقُرْآنِ عَلَىٰ غَيْرِ تَدَبُّرٍ وَلَا نَظَرٍ فِي مَقَاصِدِهِ وَمَعَاقِدِهِ، وَالْقَطْعُ بِالْحُكْمِ بِهِ بِبَادِئِ الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الَّذِي نَبَّهَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «**يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ**»، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ يَصُدُّ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ الْمَحْضِ، وَيُضَادُّ الْمَشْيَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمِنْ هُنَا ذَمَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَأْيَ دَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ، وَقَالَ: إِنَّهَا بِدْعَةٌ ظَهَرَتْ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ مَنْ جَرَىٰ عَلَىٰ مُجَرَّدِ الظَّاهِرِ تَنَاقَضَتْ عَلَيْهِ السُّوَرُ وَالْآيَاتُ، وَتَعَارَضَتْ فِي يَدَيْهِ الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ وَالْعُمُومِ...

وَالثَّانِي: قَتْلُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَتَرْكُ أَهْلِ الْأَوْثَانِ عَلَىٰ ضِدِّ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ جُمْلَةُ الشَّرِيعَةِ وَتَفْصِيلُهَا، فَإِنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ إِنَّمَا جَاءَتْ لِلْحُكْمِ بِأَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نَاجُونَ، وَأَنَّ أَهْلَ الْأَوْثَانِ هَالِكُونَ، وَلِتَعْصِمَ هَؤُلَاءِ وَتُرِيقَ دَمَ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ فِيهِمَا وَالْعُمُومِ، فَإِذَا كَانَ النَّظَرُ فِي الشَّرِيعَةِ مُؤَدِّيًا إِلَىٰ مُضَادَّةِ هَذَا الْقَصْدِ، صَارَ صَاحِبُهُ هَادِمًا لِقَوَاعِدِهَا، وَصَادًّا عَنْ سَبِيلِهَا، وَمَنْ تَأَمَّلَ كَلَامَهُمْ فِي مَسْأَلَةِ التَّحْكِيمِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَفِي غَيْرِهَا، ظَهَرَ لَهُ خُرُوجُهُمْ عَنِ الْقَصْدِ، وَعُدُولُهُمْ عَنِ الصَّوَابِ، وَهَدْمُهُمْ لِلْقَوَاعِدِ، وَكَذَلِكَ مُنَاظَرَتُهُمْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ، فَهَذَانِ وَجْهَانِ ذُكِرَا فِي الْحَدِيثِ مِنْ مُخَالَفَتِهِمْ لِقَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ الْكُلِّيَّةِ اتِّبَاعًا لِلْمُتَشَابِهَاتِ»[١].

---

(١) الموافقات (١/ ٢٦١).

سادسًا: بناء خارطة أولويات واضحة في العلم والعمل:

تعلّم وتعليم الدين من خلال الاهتمام بالكليّات التي اهتم بها القرآن، وبنىٰ عليها تفريعات مسائله وعلومه، يبني خارطة أولويات مهمة للفرد والجماعة؛ لأنه من خلال دراسة المقاصد تظهر أولويات الأمور، وحجم وقدْر كل موضوع بما يُمكن من الابتداء بالأهم، وعدم إضاعة الوقت في الفرعيات والجزئيات التي غالبًا ما تكون علىٰ حساب الكليّات والأصول، فمثلا قضية إفراد الله تعالىٰ بالعبادة، ومحاربة الشرك وبيان عواقبه، قضية أنزل من أجلها كتبه، وأرسل رسله، وقام عليها سوق الجنة والنار، وميّز الله تعالىٰ بها بين أهل السعادة والشقاء، فالمقاصد تبرز لك أهميتها ووجوب العناية بها، والعمل علىٰ تحقيقها، وقد رأينا من ضاعت عنهم الأولويات كيف تخبطوا في مسيرتهم التعبدية والإصلاحية، ومن هذا الباب كان رد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الرافضة في جعل الإمامة من أصول الدين فقال: «فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَشْرَفَ مَسَائِلِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَهَمَّ الْمُطَالِبِ فِي الدِّينِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذِكْرُهَا فِي كِتَابِ اللهِ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهَا، وَبَيَانُ الرَّسُولِ لَهَا أَوْلَىٰ مِنْ بَيَانِ غَيْرِهَا، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِذِكْرِ تَوْحِيدِ اللهِ، وَذِكْرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَآيَاتِهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَصَصِ، وَالْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالْحُدُودِ، وَالْفَرَائِضِ بِخِلَافِ الْإِمَامَةِ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْقُرْآنُ مَمْلُوءً بِغَيْرِ الْأَهَمِّ الْأَشْرَفِ»[1].

---

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٩٨).

سابعًا: إضافة بُعْد تدبري مهمّ له أثره في الفهم:

المكتبة القرآنية اليوم والأمة في حاجة ملحّة إلىٰ العناية بالبُعد المقاصدي، الذي يجمع فيه المُفسّر بين دلالة النص ومقاصده، ويلتفت إلىٰ ما وراء التشريع من أسرار وحِكم، فيعمل علىٰ «التوفيق بين خاصيتي الأخذ بظاهر النص، والالتفات إلىٰ روحه ومدلوله علىٰ وجه لا يخلّ فيه المعنىٰ بالنص، ولا العكس، لتجري الشريعة علىٰ نظام واحد لا اختلاف فيه، تأكيدًا لخصائص صلاحية الشريعة ودوامها، وواقعيتها ومرونتها، وقدرتها علىٰ التحقق والتفاعل مع مختلف البيئات والظروف والأطوار ولا تناقض»[1]، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]: «فمعنىٰ ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما: أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته علىٰ مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي: تدبر تفاصيله؛ وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته علىٰ أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق، وسياق هذه الآيات يرجح حمل التدبر هنا علىٰ المعنىٰ الأول، أي لو تأملوا وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولما بقوا علىٰ فتنتهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام، وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلا أن المعنىٰ الأول أشد ارتباطا بما حُكي عنهم من أحوالهم»[2].

(١) الاجتهاد المقاصدي ضوابطه ومجالاته (ص: ٣٩).

(٢) التنوير والتحرير (١١/ ٧٢).

فهو له بُعده التدبري الكبير علىٰ المُفسّر في استنباط بعض الأحكام، وترجيح بعضها، وتوجيه بعضها، انظر مثال ذلك في الجمع بين النص ومقاصده عند ابن عاشور في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٢٨]، فيقول: «وأما الضرب فهو خطير وتحديده عسير، ولكنه أذن فيه في حالة ظهور الفساد؛ لأن المرأة اعتدّت حينئذ، ولكن يجب تعيين حد في ذلك، يبيّن في الفقه؛ لأنه لو أطلق للأزواج أن يتولّوه، وهم حينئذ يشفون غضبهم، لكان ذلك مظنة تجاوز الحد، إذ قلَّ من يعاقب علىٰ قدر الذنب، علىٰ أنّ أصل قواعد الشريعة لا تسمح بأن يقضي أحد لنفسه لولا الضرورة، بيد أن الجمهور قيَّدوا ذلك بالسلامة من الإضرار، وبصدوره ممن لا يعدّ الضرب بينهم إهانة وإضرارًا، فنقول: يجوز لولاة الأمور إذا علموا أن الأزواج لا يحسنون وضع العقوبات الشرعية مواضعها، ولا الوقوف عند حدودها أن يضربوا علىٰ أيديهم استعمال هذه العقوبة، ويعلنوا لهم أن من ضرب امرأته عوقب، كيلا يتفاقم أمر الإضرار بين الأزواج، لا سيما عند ضعف الوازع»[١].

(١) التحرير والتنوير (٥/ ٤٤).

ثامنًا: تضييق دائرة الاختلاف في التفسير:

هنالك اختلافات كثيرة في كتب التفسير بسبب النظرة الجزئية في دلالة معاني الألفاظ، وتراكيب الجمل في سياقها الموضعي مع إهمال النظرة الكليّة لمقاصد القرآن أو السورة أو الآيات، فالعناية بالمقاصد والكليّات العامة، وجعلها هادية للمفسّر في وسط تلك الاختلافات، وهو يختار ويرجح ويجمع ويحلل ويستنبط من الأدلة؛ لها فوائدها في تضييق دائرة الاختلاف، من خلال الجمع بين دلالة الألفاظ والجمل، ومقاصد القرآن العامة والخاصة، وحال المخاطَبين بها عند نزوله، وحال الفئة المستهدَفة اليوم ليصل من ورائها إلىٰ مضامين كليّة تضيق دوائر الاختلاف بين أبناء الأمة الواحدة، لأن الغرض الحقيقي من التفسير؛ تحقيق مقصد نزول القرآن من الهداية والشفاء والرحمة للناس.

مثال ذلك نجد خلافا طويلا بين العلماء في المراد **بالطائفة** من قوله تعالىٰ: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، فبعد أن يذكر الإمام الجصّاص الأقوال نجده يرجّح وفق الفهم المقاصدي فيقول: «والأولىٰ أن تكون **الطائفة** جماعة يستفيض الخبر بها، ويشيع فيرتد علىٰ الناس عن مثله؛ لأن الحدود موضوعة للزجر والردع، وبالله التوفيق»[1].

---

(١) أحكام القرآن (٥/ ١٠٦).

تاسعًا: تكوين العلماء الربّانيين:

العلماء الربانيون هم الذين يعلمون الكتاب ويعلّمونه من أجل إفادة الناس وإصلاح حالهم بهديه، وهم من يهتمون بقضاياه الأساسية الكليّة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الربّاني** الجامعُ إلىٰ العلم والفقه، والبصر بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دُنياهم ودينهم»[١]، فالعقل الأقدر علىٰ إنزال الهدىٰ القرآني عبر تاريخ الأمة وباستقراء تاريخ علمائها، هو العقل المقاصدي الذي يتجه بالأدلة نحو غاياتها، ويستصحب الحِكم التشريعية في جعل الشريعة مؤهلة «لأداء دور الاستخلاف والتعمير واستشراف المستقبل، وتحقيق مقصد خلود الشريعة، وصلاحها وامتدادها الزماني والمكاني، عبر اجتهاد تطبيقي مواكب لحركة الحياة، لا يرىٰ شريعة الله إلا شريعة عدل ومصلحة ورحمة»[٢].

فالاهتمام بالكليّات والمُحكَمات هو شأن الراسخين من أهل العلم، لأنه يحقق غرض التفسير، قال العزّ بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغرضُ مِنَ التفسيرِ الوقوفُ علىٰ مقاصدِ القرآنِ المفيدِ للأمورِ الدينيةِ»[٣].

---

(١) جامع البيان (٦/ ٥٤٤).

(٢) مقاصد القرآن نظرة تقويمية (ص: ٢٠٧٤).

(٣) نبذ من مقاصد الكتاب العزيز (ص: ١٦).

عاشرًا: معالجة مشكلة ملحّة في واقع الأمة تتعلّق بصراع الفروع والظنيّات:

نحن اليوم في زمن كثرت فيه تفريعات وتشعبات العلوم حتىٰ ضاعت الأساسيات والكليّات عند كثير من الناس، وأصبحت معارك الفروع هي التي تطغىٰ علىٰ الأصول، كما أن ضعف الهمم وانصراف الناس عن العلم الجاد، وانشغالهم بثقافة الوسائط الاجتماعية التي زادت ثقافتهم تفرقًا يحتاج إلىٰ إعادة وعي الأمة بأساسياتها حتىٰ يفقهوا وفقها ما تفرَّق من مواد علمية، وينطلقون منها إلىٰ فهم أعمق لما جاء في بقية الآيات والسور، ويتم وفق هذا الوعي المقاصدي مراجعة مناهجنا التعليمية، ووعينا الفكري، وخطابنا الدعوي والإعلامي عليها، بما يسهم في معالجة مشكلات الواقع من خلال إدراجها ضمن تلك المقاصد الكليّة، وفق ما يعرف بالاستصلاح المرسل أو الاستحسان، وقد عبّر عن هذا بتعبيرات كثيرة منها: القياس الكُلي، والمصلحي، والواسع، وقياس المصالح المرسلة، والمقاصد العالية، وقد جاء عن ابن عاشور فصل بعنوان: «أحكام الشريعة قابلة للقياس عليها، باعتبار العلل والمقاصد القريبة والعالية»[١].

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية (٢/ ٢٧٢)، وينظر: الاجتهاد المقاصدي ضوابطه ومجالاته (ص: ٣٥).

الحادي عشر: بناء معيار علمي كاشف عن قيمة التفاسير:

دراسة قيمة التفاسير تحتاج إلىٰ وضع معايير واضحة، يحكم من خلالها علىٰ انضباطها المنهجي وقيمتها العلمية، فمن تلك المعايير المهمة النظر في عناية المُفسّر بالبُعد المقاصدي، فإذا كان المُفسّر أثناء تفسيره مهتمًا بإبراز مقاصد القرآن، وجعل معانيه متفقة مع مقاصده العامة والخاصة دلَّ ذلك علىٰ منزلته ومكانته؛ لأن المقاصد ينبغي أن تكون المعْلم الموجِّه للمفسّر، يضبط من خلالها معاني الأقوال، والترجيحات والاختيارات بين الأقوال، ودقائق الاستنباطات وغيرها، لأن الأمور بمقاصدها واللفظ إنما يراد للمعنىٰ، فكم رأينا عند العلماء الذين راعوا هذا الجانب أقوالًا موفقة مسددة في التفسير.

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فطرائق المُفسّرين للقرآن ثلاث: إما الاقتصار علىٰ الظاهر من المعنىٰ الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل، وإما استنباط معانٍ من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام، ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن، وتلك هي مستتبعات التراكيب.. وإما أن يجلب المسائل ويبسّطها لمناسبة بينها وبين المعنىٰ، أو لأن زيادة فهم المعنىٰ متوقفة عليها، أو للتوفيق بين المعنىٰ القرآني وبين بعض العلوم؛ مما له تعلق بمقصد من مقاصد التشريع لزيادة تنبيه إليه، أو لرد مطاعن من يزعم أنه ينافيه، لا علىٰ أنها مما هو مراد الله من تلك الآية بل لقصد التوسع»[١].

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٢).



المطلب الثاني:
أقسام مقاصد القرآن الكريم

من الأمور التي لا ينبغي أن يختلف فيها أن لنزول القرآن مقاصد وغايات وحِكم، وهذا موضع إجماع، قال الآمدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ أَئِمَّةَ الْفِقْهِ مُجْمِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّ أَحْكَامَ اللهِ تَعَالَىٰ لَا تَخْلُو عَنْ حِكْمَةٍ وَمَقْصُودٍ»(١)، وأنّ المقاصد في الجملة تنقسم إلىٰ قسمين:

مقاصد نصية: نصَّ الله تعالىٰ عليها في كتابه لا يختلف حولها، تحدَّث الله تعالىٰ عنها من خلال ما وصف به كتابه، لا تنفك عنها جميع الآيات والسور، بل ترتبط بها بصورة مباشرة، مثال ذلك: كل آية وسورة نزلت لتحقيق الهداية؛ التي هي مقصد أساسي لنزول القرآن.

ومقاصد اجتهادية: لا تتعلق بالجانب الوصفي وإنما تتعلق بالجانب الموضوعي، استخرجها العلماء عن طريق الاجتهاد، منها مقاصد كبرىٰ تتعلق بجميع القرآن، ومنها مقاصد صغرىٰ تتعلق ببعض الآيات والسور، وبعضها موضع اتفاق، وبعضها يكثر حولها الاختلاف من المقاصد العامة والخاصة، وقد يزداد الاختلاف في تحديد مقاصد بعض السور؛ لأن الإحاطة

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٣/ ٢٨٦).

بكل مقاصد السور والموضوعات والآيات، مما تعجز عنه فهوم الخلْق من بعد نبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهما علا شأنهم في علوم القرآن؛ ولكن العلماء ظلّوا يفعلون من ذلك ما في وسعهم من تدبر القرآن، ومحاولة استخراجها والتدليل عليها، إليك الحديث في بيان هذه الأقسام بتفصيل.

القسم الأول: المقاصد النصية:

هنالك مقاصد عامة نصَّ الله تعالىٰ عليها في كتابه بصورة واضحة، وجعلها وصفًا لكتابه لا ينبغي الاختلاف حولها، أو غيابها في عقول المؤمنين، من ذلك أن الله تعالىٰ أنزل كتابه ليكون نورًا وهدىٰ وشفاء ورحمة، نورًا في ظلمات الكفر والشرك والإلحاد والنفاق، قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يدل علىٰ أن المقصود من إنزال الكتاب إرشاد الخلق كلهم إلىٰ الدين والتقوىٰ، ومنعهم عن الكفر والمعصية»[1]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]،

(١) مفاتيح الغيب(١٩/ ١١٥).

وقال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [التغابن: ٨].

وأنزله كذلك ليكون هدىٰ للناس، يهتدون به في ظلمات الكفر والضلال، ويهتدون به إلىٰ ما يصلحهم وينفعهم في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنّ من اتبعه، اتبع ما أمر به، واجتنب ما نهىٰ عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقىٰ فيهما؛ بل قد هدي إلىٰ صراط مستقيم في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة»(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/ ١٤٩).

وقد جاء في صحيح مسلم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ، وَأَخَذَ بِهِ، كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ»[1].

كما أنزله ليكون شفاء لما في القلوب والأرواح من عللها الظاهرة والباطنة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات، والقرآن شفاء للنوعين، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبيّن الحق من الباطل، فتزول أمراض الشُبه المُفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرىٰ الأشياء علىٰ ما هي عليه.. فهو الشفاء علىٰ الحقيقة من أدواء الشُبه والشكوك، ولكن ذلك موقوف علىٰ فهمه ومعرفة المراد منه.. أما شفاؤه لمرض الشهوات فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده، ويرغب عما يضره، فيصير القلب محبا للرشد، مبغضا للغي»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: (٣٦).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٤٤).

وأنزله ليكون آية كبرىٰ علىٰ صدق الرسالة، وحجة قائمة علىٰ الخلق، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مقاصد القرآن الكريم: «في إنزال كتابه العزيز ثلاثة مقاصد رئيسة: أن يكون هداية للثقلين، وأن يقوم آية لتأييد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلىٰ من كلامه المقدّس»[١].

فهذه المقاصد وغيرها نصَّ الله تعالىٰ عليها في كتابه، ولم يختلف العلماء حولها، وهي جزء من خصائص القرآن وصفاته تكلَّم عنها العلماء كثيرًا، وأكَّدوا عليها أثناء تفسيرهم لتلك الآيات وغيرها، وهي لا تتعلق بتقسيم معين لقضايا وموضوعات القرآن؛ ولأنها مقاصد لا يختلف حولها في عمومها اكتفيت فقط بالإشارة إليها، وليست هي المقصودة بالدراسة عند العلماء عندما يتكلمون عن مقاصد القرآن في الدراسات المعاصرة.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ١٢٤).

القسم الثاني: المقاصد الاجتهادية:

هذه المقاصد لم ينص عليها بصورة واضحة؛ وإنما استخرجها العلماء بالاستقراء، وتوصلوا إليها من خلال نتائج مطالعات واسعة، وتدبُّرات عميقة في محتوىٰ الآيات والسورة، وموضوعات وقضايا القرآن الكريم، وهي مختلف في مراتبها ومستوياتها بين الظهور والخفاء، منها ما جعل توافر الأدلة عليها موضع اتفاق بين العلماء، كقضية تحقيق التوحيد، والإيمان بالبعث، واتباع القرآن والسنة طريقًا موصلًا إلىٰ الله تعالىٰ ورضوانه، ومنها ما يكتنفها الغموض ويشوبها النزاع، كمقاصد بعض السور والموضوعات، فهي مثل: مقاصد التشريع التي هي متنوعة من حيث الظهور، بين ما هو قطعي وهو ما تواردت حولها الأدلة، وبين ما هو ظني وهي التي تقع دون مرتبة القطع واليقين، كما هي متباينة من حيث الحاجة إليها بين المقاصد الضرورية: وهي التي لابد منها في قيام مصالح الدارين، وهي الكليَّات الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، والمقاصد الحاجية: وهي التي يحتاج إليها للتوسعة ورفع الضيق والحرج والمشقة، والمقاصد التحسينية: وهي التي تليق بمحاسن العادات، ومكارم الأخلاق، والتي لا يؤدي تركها غالبا إلىٰ الضيق والمشقة، كما هي متنوعة باعتبار تعلقها بعموم الأمة وخصوص بعض أفرادها، فالمقاصد العامة يلاحظ فيها جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها الكبرىٰ، وبين المقاصد الجزئية التي يلاحظ فيها علل الأحكام وحِكمها وأسرارها، وهي مع تنوعها ليست بمرتبة واحدة من الأهمية[١].

---

(١) انظر: أمهات المقاصد (ص: ٨٦)، والاجتهاد المقاصدي ضوابطه ومجالاته (ص: ٣٦).



المطلب الثالث:
أنواع مقاصد القرآن الاجتهادية

إذا أطلقت مقاصد القرآن الكريم، ولم تحدد بوصف خاص، يقصد بها عند العلماء واحد من هذه الأنواع الثلاثة:

النوع الأول: مقاصد الآيات.

النوع الثاني: مقاصد السور.

النوع الثالث: مقاصد القرآن الكبرى.

إليك الحديث عن كل نوع باختصار بما يوضح مفهومه، وبعض أمثلته التطبيقية.

النوع الأول: مقاصد الآيات:

مقاصد الآيات هي نوع من أنواع المقاصد القرآنية، والكلام فيها قديم ومستقر عند العلماء، ليس فيها خلاف يذكر في أصلها، وإنما يقع الخلاف في تحديد محتواها، وهم يقصدون بها من خلال تعبيراتهم؛ المعاني الجامعة والحكمة الملحوظة من وراء الخطاب القرآني في الآية أو الآيات، وهم دائمًا

يرجعون في معرفة مقصود الآية إلىٰ سياقها، وأسباب نزولها، وما ذكر فيها من تعليلات وحِكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا وَعَرَفَ مَقْصُودَ الْقُرْآنِ: تَبَيَّنَ لَهُ الْمُرَادُ وَعَرَفَ الْهُدَىٰ وَالرِّسَالَةَ، وَعَرَفَ السَّدَادَ مِنْ الِانْحِرَافِ وَالِاعْوِجَاجِ. وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ بِمُجَرَّدِ مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ الْمُجَرَّدُ عَنْ سَائِرِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَاهُ فَهَذَا مَنْشَأُ الْغَلَطِ مِنْ الغالطين؛ لَا سِيَّمَا كَثِيرٌ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِالِاحْتِمَالَاتِ اللُّغَوِيَّةِ»[1].

فالآية أحيّانًا تنص علىٰ المقصود من وراء التشريع ومآلاته، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فبيّنت ما يترتب علىٰ ذلك من حفظ الأنفس وصيانة الدماء، وتارة تنص علىٰ العلة والسبب والغاية، وهذا كثير جدًا.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالْقُرْآن وَسنة رَسُول الله مملوآن من تَعْلِيل الْأَحْكَام بالحكم والمصالح، وتعليل الْخلق بهما، والتنبيه علىٰ وُجُوه الحكم الَّتِي لأَجلهَا شرع تِلْكَ الإحكام، ولأجلها خلق تِلْكَ الْأَعْيَان، وَلَو كَانَ هَذَا فِي الْقُرْآن وَالسّنة فِي نَحْو مائَة مَوضِع أَو مِائَتَيْنِ لسقناها؛ وَلكنه يزِيد علىٰ ألف مَوضِع بطرق متنوعة فَتَارَة يذكر لَام التَّعْلِيل الصَّرِيحَة، وَتارَة يذكر الْمَفْعُول لأَجله الَّذِي هُوَ الْمَقْصُود بِالْفِعْلِ، وَتارَة يذكر من أجل الصَّرِيحَة فِي التَّعْلِيل،

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٩٤).

وَتارَة يذكر أَدَاة كي، وَتارَة يذكر الْفَاء وَأَن، وَتارَة يذكر أَدَاة لَعَلَّ المتضمنة للتَّعْلِيل الْمُجَرَّدَة عَن معنىٰ الرَّجَاء الْمُضَاف إِلَىٰ الْمَخْلُوق، وَتارَة يُنَبه علىٰ السَّبَب يذكرهُ صَرِيحًا، وَتارَة يذكر الْأَوْصَاف المشتقة الْمُنَاسبَة لِتِلْكَ الْأَحْكَام ثمَّ يرتبها عَلَيْهَا تَرْتِيب المسببات علىٰ أَسبَابهَا، وَتارَة يُنكر علىٰ من زعم أَنه خلق خلقه وَشرع دينه عَبَثا وسدىٰ..»(١).

الأمثلة التطبيقية:

كلام العلماء عن مقاصد الآيات كثيرة ومتنوعة من ذلك:

المثال الأول: عند ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[التوبة:٦٠]، قال: «والصواب من القول في ذلك عندي: أن الله جعل الصدقة في معنيين أحدهما: سدُّ خَلَّة المسلمين، والآخر: معونة الإسلام وتقويته، فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه، فإنه يُعطاه الغني والفقير، لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه، وإنما يعطاه معونةً للدين وذلك كما يعطىٰ الذي يُعطاه بالجهاد في سبيل الله، فإنه يعطىٰ ذلك غنيًّا كان أو فقيرًا، للغزو لا لسدّ خلته، وكذلك المؤلّفة قلوبهم، يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء، استصلاحًا بإعطائهموه أمر الإسلام وطلبَ تقويته وتأييده، وقد أعطىٰ النبي

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ٢٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعطىٰ من المؤلّفة قلوبهم، بعد أن فتح الله عليه الفتوح، وفشا الإسلام وعزّ أهله، فلا حجة لمحتجّ بأن يقول: «لا يتألف اليوم علىٰ الإسلام أحد، لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم»، وقد أعطىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعطىٰ منهم في الحال التي وصفت»[١].

المثال الثاني: عند الثعلبي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾[الأعراف:١٧]، قال: «مقصد الآية أن إبليس أَخْبَرَ عن نفسه أنه يأتي إِضْلاَلَ بني آدم من كُلِّ جهة، فعبر عن ذلك بأَلْفَاظٍ تقتضي الإِحَاطَةَ بهم»[٢].

المثال الثالث: عند ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ قال في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾[الإسراء: ١٧]: «إن مقصد الآية في هذا الموضع الإعلام بعادة الله مع الأمم في الدنيا، وبهذا يقرب الوعيد من كفار مكة، ويؤيد هذا ما يجيء بعد من وصفه ما يكون عند إرادته إهلاك قرية، ومن إعلامه بكثرة ما أهلك من القرون»[٣]، وقال في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٧ -٢٩]: «مقصد الآية تعظيم يوم القيامة

(١) جامع البيان (١٤/ ٣١٦).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ١٣).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٤٤).

وذكر هوله، بأنه يوم تندم فيه الظَلَمة، وتتمنىٰ أن لو لم تطع في دنياها خلانها الذين أمروهم بالظلم»(١).

المثال الرابع: عند ابن جُزَي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، قال: «مقصد الآية تعديد النِّعم وإقامة الحجة»(٢).

المثال الخامس: عند السمين الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣]، قال: «مقصودَ الآية ومساقَها الدلالةُ علىٰ قُدْرَةِ الله الباهرةِ، وتأييدِهِ بالنصر لعبادِه المؤمنين مع قلةِ عددِهم، وخذلانِ الكافرين مع كثرةِ عددِهم وتحزُّبِهم، ليُعْلَمَ أنَّ النصرَ كلَّه من عند الله، وليس سببُه كثرتَكم وقلَّةَ عدوكم، بل سببُه ما فعلَه تبارك وتعالىٰ من إلقاءِ الرعبِ في قلوبِ أعدائِكم»(٣).

وغيرها من آيات كثيرة تكلم العلماء عن مقصدها، ومما لا شك فيه أن لكل آية في القرآن مقصدًا تنحو نحوه، علِمَه من علِمَه وجهله من جهله،

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٢٠٨).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٨٦).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣/ ٥٢).

والعناية به مهمة للمفسّر، قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْأَلْفَاظُ لَمْ تُقْصَدْ لِذَوَاتِهَا، وَإِنَّمَا هِيَ أَدِلَّةٌ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَىٰ مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، فَإِذَا ظَهَرَ مُرَادُهُ وَوَضَحَ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ عَمَلٌ بِمُقْتَضَاهُ، سَوَاءٌ كَانَ بِإِشَارَةٍ، أَوْ كِتَابَةٍ، أَوْ بِإِيمَاءَةٍ أَوْ دَلَالَةٍ عَقْلِيَّةٍ، أَوْ قَرِينَةٍ حَالِيَّةٍ، أَوْ عَادَةٍ لَهُ مُطَّرِدَةٍ لَا يُخِلُّ بِهَا»[1].

النوع الثاني: مقاصد السور:

مقاصد السورة يقصد بها العلماء المعنىٰ الجامع لآياتها وموضوعاتها، أو الغايات التي ترمي إليها آيات السورة وموضوعاتها، وهذه قديمة مستقرة في كتابات العلماء، وإن كان إفراده بالتأليف جاء متأخرًا، وممن كتب فيه بسورة واضحة الفيروز آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨١٧هـ) في كتابه: «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، حيث خصص لكلِّ سورة بصيرة إجمالية مبيّنة لمحتواها، وجعل بداية البصيرة تلخيصًا لمقصودها.

ثم جاء العلامة برهان الدين البِقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٨٨٥هـ) فألف كتابه: «مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور»، فأصَّل لهذا العلم وبيَّن أهميته، وأن كل سورة لها مقصد يدور عليها أولها وآخرها، وبيّن طرق الوصول إليه، وتحدّث عن مقصود كل سورة منه، واجتهد في البرهنة عليه في كتابه: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور».

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٦٧).

وقد تنوعت عبارات العلماء في أهميته قال البِقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها»[(١)]، وقال: «وعلىٰ قدر المقصود من كل سورة تكون عظمتها، ويعرف ذلك مما ورد في فضائلها، ويؤخذ من ذلك أسماؤها، ويدل علىٰ فضلها كثرتها، فلا سورة في القرآن أعظم من الفاتحة؛ لأنه لا مقصود أعظم من مقصودها»[(٢)].

وأكد الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أهميته في فهم محتوىٰ السورة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعْلَم أَن تعْيين عَمُود السُّورَة هُوَ إقليدٌ[(٣)] لمعْرِفَة نظامها.. ولكنه أصعب المعارف، وَيحْتَاج إِلَىٰ شدَّة التَّأَمُّل والتمحيص، وترداد النّظر فِي مطَالب السُّورَة المتماثلة والمتجاورة، حَتَّىٰ يلوح العمود كفلق الصُّبْح، فتضيء بِهِ السُّورَة كلُّها، ويتبين نظامُها، وَتَأْخُذ كل آيَة محلهَا الخَاص، وَيتَعَيَّن من التأويلات المحتملة أرجحها»[(٤)].

وقال الشيخ محمد عبد العظيم دراز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من

---

(١) مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور (١/ ١٤٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢١٠).

(٣) واحدة مقاليد، وفي التنزيل: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ٤٢]، فقيل: مفاتيح، علىٰ قول مجاهد، وقيل: خزائن، علىٰ قول السُّدي. ينظر: تاج العروس (٩/ ٦٦).

(٤) دلائل النظام (١/ ٧٧).

المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي -لو تُدبرت- بُنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكليّة علىٰ أسس وأصول، وأقيم علىٰ كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد، قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلىٰ طريق، بل ترىٰ بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترىٰ بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامِّ والالتحاق، كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حُسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض، ومقطعه، وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا»[1].

الأمثلة التطبيقية:

المثال الأول: قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن فضائل سورة الإخلاص: «اشتهر في الأحاديث أن قراءة هذه السورة تعدل قراءة ثلث القرآن، ولعل الغرض منه أن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات، معرفة ذات الله، ومعرفة صفاته، ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة علىٰ معرفة الذات، فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن.

وأما سورة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فهي معادلة لربع القرآن؛ لأن المقصود من القرآن: إما الفعل وإما الترك، وكل واحد منهما فهو إما في

(١) النبأ العظيم (ص: ١٨٨).

أفعال القلوب، وإما في أفعال الجوارح، فالأقسام أربعة، وسورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ لبيان ما ينبغي تركه من أفعال القلوب، فكانت في الحقيقة مشتملة علىٰ ربع القرآن.

ومن هذا السبب اشتركت السورتان أعني: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ في بعض الأسامي فهما «المقشقشتان» و«المبرئتان»، من حيث إن كل واحدة منهما تفيد براءة القلب عما سوىٰ الله تعالىٰ، إلا أن ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ يفيد بلفظها البراءة عما سوىٰ الله وملازمة الاشتغال بالله، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يفيد بلفظها الاشتغال بالله وملازمة الإعراض عن غير الله، أو من حيث إن ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ تفيد براءة القلب عن سائر المعبودين سوىٰ الله، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تفيد براءة المعبود عن كل ما لا يليق به»[1].

المثال الثاني: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سورة الكافرون: «معلوم أن المقصود منها أن تكون براءة من كل شرك اعتقادي وعملي»[2]، وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن مقصود السورة براءته من دينهم ومعبودهم، هذا هو لبها ومغزاها، وجاء ذكر براءتهم من دينه ومعبوده بالقصد الثاني، مكمّلا لبراءته ومحققا لها»[3].

---

(١) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٥٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (التفسير) (٤/ ٤٧٠).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٤٧).

المثال الثالث: قال أبو حيّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن مقصد سورة يس: «ولما كان في سورة يس المقصد إظهار الآيات العظيمة الدالة علىٰ البعث، جاء التركيب باللفظ العام وهو قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]، وبعده: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]»[١].

المثال الرابع: قال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن سورة الرحمن: «سورة الرحمن المقصود منها علو قدرة الله وعلمه وشأنه، وكونه مسئولا ولم يقصد أفراد السائلين»[٢].

المثال الخامس: قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنها تشتمل محتوياتها علىٰ أنواع مقاصد القرآن، وهي ثلاثة أنواع: الثناء علىٰ الله ثناء جامعا لوصفه بجميع المحامد، وتنزيهه عن جميع النقائص، ولإثبات تفرده بالإلهية، وإثبات البعث والجزاء، وذلك من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، والأوامر والنواهي من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والوعد والوعيد من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ إلىٰ آخرها، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرها تكملات لها»[٣].

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٧٨).

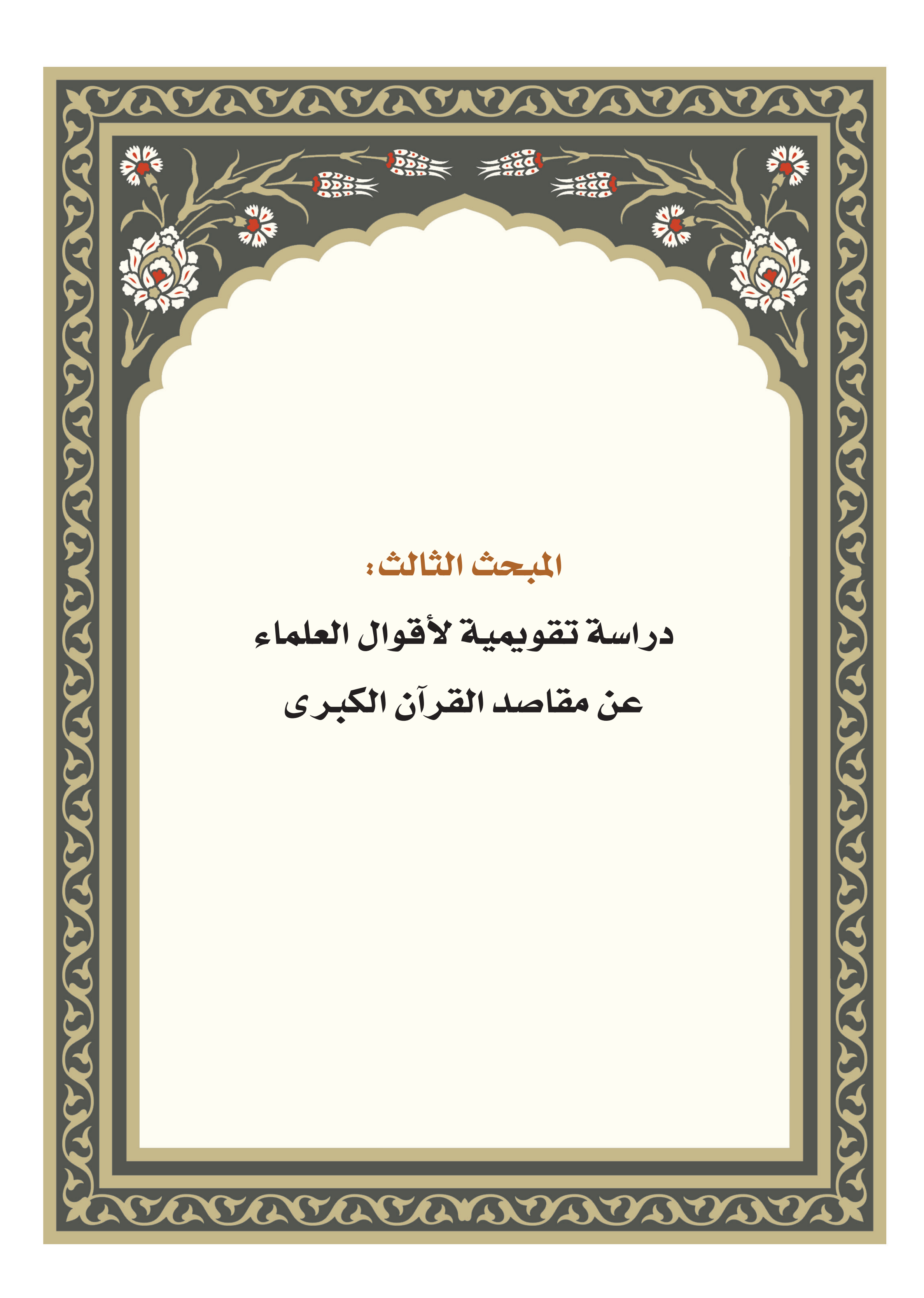
(٢) البرهان في علوم القرآن (٤/ ٧٤).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ١٣٣).

النوع الثالث: المقاصد الكبرىٰ للقرآن

هذا النوع الأخير هو الذي يتحدث عنه العلماء عند ما يتكلمون عن مقاصد القرآن الكريم، وهو ما قصدنا خدمته هنا من خلال هذا البحث، وقد سبق الكلام عن مفهومه، وأهميته، وسوف يأتي الكلام عن بيان المراد به بجمع أقوال العلماء، ثم دراستها دراسة تحليلية للوصول لنتائج محددة.





المبحث الثالث:

دراسة تقويمية لأقوال العلماء

عن مقاصد القرآن الكبرى





المطلب الأول:
تتبع تاريخي لأقوال العلماء في مقاصد القرآن الكبرى

كثير من علوم القرآن الكريم نشأت فكرتها بصورة مبسطة صغيرة، ثم تنامت عبر التاريخ حتىٰ صارت علمًا متكاملًا، كعلم المناسبات، وإعجاز القرآن، والانتصار للقرآن وغيرها، وهذا أمر طبعي في نشأة العلوم وتطورها، ودائمًا تبدأ دراسة العلوم وتطورها من خلال معرفة أو بذر فكرته، ثم أول من أفردها بالكتابة، ثم ما تلتها من كتابات وما سجلته تلك الكتابات من إضافات معرفية علىٰ مسيرة العلم عبر التاريخ.

وموضوع مقاصد القرآن الكريم من الموضوعات التي ما زال يكتنفها الغموض في بيان ماهيته، حيث تشعبت الآراء في تحديد مفرداته، فحتىٰ نصل إلىٰ تحرير دقيق وعميق، جعلت هذا المطلب في التتبع التاريخي عن نشأة مصطلح المقاصد وتطوره ودلالاته عند علماء الدراسات القرآنية، والمهتمين بمقاصد القرآن؛ لأن أي بناء معاصر في فهم القرآن الكريم؛ ينبغي أن ينطلق من استيعاب ما ذكره علماء الفن عبر التاريخ في المسألة، ثم تأتي الدراسات الحديثة لتكمل مسيرة البناء العلمي للموضوع، تأصيلًا لفكرته، واستكمالا لنواقصه.

إليك بيان من تكلموا عن المقاصد العامة بصورة واضحة متسلسلة، ثم يأتي بعد ذلك تحليل هذه الأقوال، والمقارنة بينها، ودراستها؛ لتحرير ماهيتها في المطلب الذي يليه.

أولًا: شيخ الإسلام القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سُرَيج البغدادي(١) **(ت:٣٠٦ هـ)**: يعتبر هو من أوائل من ذكر أقسام موضوعات القرآن الأساسية التي عبّر عنها فيما بعد بالمقاصد: فقد أورد البيهقي في «الأسماء والصفات» قال: «أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْوَلِيدِ الْفَقِيهَ، يَقُولُ: سَأَلْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ سُرَيْجٍ قُلْتُ: مَا مَعْنَىٰ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ أَثْلَاثًا: ثُلُثٌ مِنْهَا أَحْكَامٌ، وَثُلُثٌ مِنْهَا وَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَثُلُثٌ مِنْهَا الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ، وَقَدْ جُمِعَ فِي قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، أَحَدُ الْأَثْلَاثِ وَهُوَ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ»(٢).

---

(١) هو: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، الفقيه الشافعي؛ قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: (كان من عظماء الشافعيين، وأئمة المسلمين، وكان يقال له: الباز الأشهب، وولي القضاء بشيراز، وكان يفضل علىٰ جميع أصحاب الإمام الشافعي، حتىٰ علىٰ المزني، وإن فهرست كتبه كانت تشتمل علىٰ أربعمائة مصنف، وكان يعتبر مجدد الإسلام في عصره). انظر: وفيات الأعيان (١/ ٦٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٣)، وطبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (٣/ ٢١).

(٢) الأسماء والصفات (١/ ١١٠)، وانظر: مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ١٣٠)، ومحاسن التأويل (٩/ ٥٧١).

ثانيًا: محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ): يعتبر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أوائل المفسّرين الذين يعدون في ذكر مقاصد القرآن الكلية باعتبار موضوعاته، حيث ذكر عنه الزركشي في «البرهان» [١] قوله: «قال محمد بن جرير الطبري: يشتملُ[٢] عَلَىٰ ثلاثةِ أشياءَ: التوحيد، والأخبار، والدِّيانات[٣]، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن»، وهذه السورةُ تشملُ التوحيدَ كُلَّه»[٤].

ثالثًا: الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ): يعتبر هو أول من تكلم عن مقاصد القرآن بصورة واضحة، حيث خصص له الفصل الثاني من كتابه: «جواهر القرآن»، وعنون له بـ «حصر مقاصده ونفائسه»، ثم قال: «سِرُّ القرآن، ولُبَابُه الأصفىٰ، ومقصدُهُ الأقصىٰ، دعوَةُ العباد إلىٰ الجَبَّار الأعلىٰ، ربِّ الآخرةِ والأولىٰ، خالق السماوات العُلَىٰ، والأَرَضين السُفلىٰ، وما بينهما وما تحت الثَّرَىٰ، فلذلك انحصرت سُوَرُ القرآن وآياتُه في ستة أنواع:

- ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المُهِمَّة.

---

(١) ولم أقف علىٰ قول الطبري / في تفسيره، وقد يكون بحثي قاصرًا، فلعله ذكره في مكانٍ لم أتنبه له، والله أعلم.

(٢) أي: القرآن الكريم.

(٣) يقصد بذلك الشرائع أو الأحكام.

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨)، ونسبه كذلك إليه السيوطي في «الإتقان»، انظر: الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٣٧).

- وثلاثة: هي الرَّوادف والتوابع المُغنِيَة المُتِمَّة.

أما الثلاثة المُهِمَّة فهي:

١) تعريف المدعو إليه.

٢) وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.

٣) وتعريف الحال عند الوصول إليه.

وأما الثلاثة المُغْنِيَة المُتِمَّة:

فأحدها: تعريف أحوال المُجيبين للدعوة ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسِرُّهُ ومقصودُه التشويقُ والترغيبُ، وتعريفُ أحوال النَّاكبين والنَّاكلين عن الإجابة، وكيفيةُ قمعِ الله لهم وتنكيلِهِ لهم؛ وسِرُّهُ ومقصوده الاعتبار والترهيب.

وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكَشْفُ فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمُحاجَّة علىٰ الحق، وسِرُّه ومقصوده في جنب الباطل الإِفضاحُ والتَّنْفير، وفي جَنب الحق الإيضاحُ والتَّثْبيتُ والتَّقهير.

وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأُهبة والاستعداد، فهذه ستة أقسام»[1]، ثم تكلم في الفصل الثالث في شرحها فقال: «الفصل الثالث: في شرح مقاصد القرآن، القسم الأول: في تعريف المدعو

(١) جواهر القرآن (ص: ٢٣ - ٢٤).

إليه، وهو شرح معرفة الله تعالىٰ، وذلك هو الكبريت الأحمر، وتشتمل هذه المعرفة علىٰ:

١) معرفة ذات الحق تبارك وتعالىٰ.

٢) ومعرفة الصفات.

٣) ومعرفة الأفعال.

وهذه الثلاثة: هي الياقوت الأحمر..»[١].

وقال في موضع آخر: «فاعلم أنَّ سورة الإخلاص تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن قطعًا، وارجع إلىٰ الأقسام الثلاثة التي ذكرناها في مهمَّات القرآن، إذْ هي: معرفة الله تعالىٰ، ومعرفةُ الآخرة، ومعرفةُ الصراط المستقيم، فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة والباقي توابع؛ وسورة الإخلاص تشتمل علىٰ واحد من الثلاث، وهو معرفة الله وتوحيدُه وتقديسُهُ عن مُشَارِكٍ في الجنس والنَّوع، وهو المرادُ بِنَفي الأصل والفرع والكُفْؤ، وَوَصفُهُ بالصَّمَد يُشعِر بأنه الصَّمَدُ الذي لا مَقصِدَ في الوجودِ للحوائجِ سواه، نعم ليس فيها حديثُ الآخرةِ والصِّراطِ المُستَقيم، وقد ذكرنا أن أصولَ مهمَّاتِ القرآن معرفةُ الله تعالىٰ، ومعرفةُ الآخرة، ومعرفةُ الصراط المستقيم، فلذلك تَعدِلُ ثُلُثَ القرآن، أي ثُلث الأصولِ من القرآن كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحَجُّ عَرَفَة**» أي: هو الأصل والباقي توابع»[٢].

(١) جواهر القرآن (ص: ٢٥).

(٢) المصدر السابق (ص: ٧٨).

رابعًا: الإمام محمود بن حمزة الكِرْماني (ت: ٥٠٥ هـ): وهو يعتبر من المتقدمين الذين ذكروا مقاصد القرآن دون أن ينص عليه بالمقاصد حيث قال: «إن القرآن كله يشتمل علىٰ ثلاثة أشياء، الأول: توحيد الله وذكر صفاته، والثاني: تكاليف الشرع من الأمر والنهي، والثالث: قصص الأنبياء والمواعظ، وسورة الإخلاص مشتملة علىٰ ذكر التوحيد بطريق الإجمال، ولذلك من قرأها أعطي من الأجر ما لو قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فإنما قرأ القرآن كله»[١].

خامسًا: الإمام البَغَوي (ت:٥١٠هـ): يعتبر هو أول من تحدث عن شروط تحصيل مقاصد القرآن في مقدمة تفسيره، فقال: «فَإِنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَبَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَذِيرًا لِلْمُخَالِفِينَ، أَكْمَلَ بِهِ بُنْيَانَ النُّبُوَّةِ، وَخَتَمَ بِهِ دِيوَانَ الرِّسَالَةِ، وَأَتَمَّ بِهِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنَ الْأَفْعَالِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ نُورًا هَدَىٰ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَحَكَمَ بِالْفَلَاحِ لِمَنْ تَبِعَهُ، وَبِالْخَسَارَةِ لِمَنْ أعرض عنه بعد ما سَمِعَهُ، أَعْجَزَ الْخَلِيقَةَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، وَعَنِ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فِي مُقَابَلَتِهِ، وَسَهَّلَ عَلَىٰ الْخَلْقِ مَعَ إِعْجَازِهِ تِلَاوَتَهُ، وَيَسَّرَ عَلَىٰ الْأَلْسُنِ قِرَاءَتَهُ، أَمَرَ فِيهِ وَزَجَرَ، وَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ، وَذَكَرَ الْمَوَاعِظَ لِيُتَذَكَّرَ، وَقَصَّ عَنْ أَحْوَالِ الْمَاضِينَ لِيُعْتَبَرَ، وَضَرَبَ فِيهِ الْأَمْثَالَ لِيُتَدَبَّرَ، وَدَلَّ عَلَىٰ آيَاتِ التَّوْحِيدِ لِيُتَفَكَّرَ، وَلَا

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٤٠٧).

حُصُولَ لِهَذِهِ الْمَقَاصِدِ فِيهِ إِلَّا بِدِرَايَةِ تَفْسِيرِهِ وَأَعْلَامِهِ، وَمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ نُزُولِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَالْوُقُوفِ عَلَىٰ نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَخَاصِّهِ وَعَامِّهِ»(١).

فالبَغَوي جعل من مقاصد القرآن: التوحيد، والأحكام، والمواعظ، بما فيه من زجر وإنذار، وقصص عن أحوال الماضين.

سادسًا: الإمام المازري أبو عبد الله محمد المَازَرِيُّ (٢) (ت: ٥٣٦ هـ):
فقد قسّم موضوعات القرآن علىٰ ثلاثة أقسام فقال: «القرآن علىٰ ثلاثة أنحاء: قصص، وأحكام، وصفات، فلتمحضها للصفات - أي: سورة الإخلاص - كانت جزءا من الثلاثة»(٣).

سابعًا: الإمام ابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣ هـ): وتحدَّث عن مقاصد القرآن؛ ولكن ليس بمسمىٰ المقاصد، وإنمَّا عبَّر عنها بعلومه الأساسية التي ترجع إليها جميع موضوعات القرآن، حيث قال في كتابه «قانون التأويل»: «إن علومه علىٰ ثلاثة أقسام: توحيد، وتذكير، وأحكام»(٤).

---

(١) معالم التنزيل (١/ ٣٣).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد التميمي المَازَرِيُّ المالكي المحدّث؛ أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه، مصنف كتاب: «المُعْلِم بِفَوَائِدِ شَرْحِ مُسْلِم»، ومصنف كتاب: «إِيضَاح المَحْصُولِ فِي الأُصُول»، وله تواليف في الأدب، وكان فاضلا متقنا. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٥)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٢).

(٣) القواعد والإشارات في أصول القراءات (ص: ٢٣).

(٤) قانون التأويل (ص: ٥٤١).

ثامنًا: الإمام الرازي (ت: ٦٠٦ هـ): تكلم عن مقاصد القرآن الكريم في سبب تسمية الفاتحة بأم القرآن: «والسبب فيه وجوه، الأول: أن أمّ الشيء أصله، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالىٰ.. فلمَّا كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة، وكانت هذه السورة مشتملة عليها لقّبت: بأم القرآن»[١]، ثم شرحها وجمعها في ثلاثة أصول فقال: «إن العلوم البشرية: إما علم ذات الله وصفاته وأفعاله، وهو علم الأصول، وإما علم أحكام الله تعالىٰ وتكاليفه، وهو علم الفروع، وإما علم تصفية الباطن وظهور الأنوار الروحانية والمكاشفات الإلهية، والمقصود من القرآن بيان هذه الأنواع الثلاثة، وهذه السورة الكريمة مشتملة علىٰ تقرير هذه المطالب الثلاثة علىٰ أكمل الوجوه»[٢].

وأكد عليها في مقدمة سورة الأنعام فقال: «اعلم أنه تعالىٰ جعل مدار هذا الكتاب الشريف علىٰ تقرير التوحيد، والنبوة، والمعاد، وإثبات القضاء والقدر، وأنه تعالىٰ بالغ في تقرير هذه الأصول»[٣]، وفي مقدمة تفسير سورة الصافات، وسمَّاها: بالمقصد الأقصىٰ، فقال: «اعلم أنَّا قد ذكرنا أن المقصد الأقصىٰ من هذا الكتاب الكريم إثبات الأصول الأربعة وهي: الإلهيات،

---

(١) مفاتيح الغيب (١/ ١٥٦).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٥٧).

(٣) المصدر السابق (١٣/ ١٦٢).

والمعاد، والنبوة، وإثبات القضاء والقدر»[١]، وفي مقدمة سورة الإخلاص عبَّر عنها بالمقصود الأشرف، وحصرها في ثلاثة مقاصد فقال: «إنَّ المقصود من كل القرآن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد، وأما القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرىٰ ضرب الأمثال في تقرير هذه الأصول»[٢]، فهو ذكر أربعة؛ لكن الظاهر أنه استقر علىٰ ثلاثة في آخر تفسيره.

تاسعًا: العزّ بن عبد السلام (ت:٦٦٠ هـ): هو من أوائل من تحدَّثوا عن مقاصد القرآن ولكن بمفهوم علماء الشريعة، حيث قال: «وَمُعْظَمُ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْأَمْرُ بِاكْتِسَابِ الْمَصَالِحِ وَأَسْبَابِهَا، وَالزَّجْرُ عَنْ اكْتِسَابِ الْمَفَاسِدِ وَأَسْبَابِهَا»[٣]، وقال: «ولَوْ تَتَبَّعْنَا مَقَاصِدَ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلِعِلْمِنَا أَنَّ الله أَمَرَ بِكُلِّ خَيْرٍ دِقِّهِ وَجِلِّهِ، وَزَجَرَ عَنْ كُلِّ شَرٍّ دِقِّهِ وَجِلِّهِ، فَإِنَّ الْخَيْرَ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ، وَالشَّرَّ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ جَلْبِ الْمَفَاسِدِ وَدَرْءِ الْمَصَالِحِ»[٤].

عاشرًا: الإمام البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ): حصر مقاصده في ثلاثة مقاصد، فقال: «فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص»[٥].

(١) مفاتيح الغيب (٢٦/ ٣٢١).

(٢) المصدر السابق (٢٨/ ٣٠).

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٨).

(٤) المصدر السابق (٢/ ١٨٩).

(٥) أنوار التنزيل (٥/ ٥٤٩).

الحادي عشر: أبو البركات النَّسَفي (ت: ٧١٠ هـ): تحدّث عن مقاصد القرآن وهو يتحدّث عن سورة الإخلاص فقال: «في الحديث «من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن»؛ لأن القرآن يشتمل علىٰ توحيد الله وذكر صفاته، وعلىٰ الأوامر والنواهي، وعلىٰ القصص والمواعظ، وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات، فقد تضمنت ثلث القرآن»[1].

الثاني عشر: شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ): نجده تحدّث عن مقاصد القرآن في تفسير سورة الإخلاص وأنها تعدل ثلث القرآن، وعبّر عنها بمعاني القرآن فقال: «إِنَّ أَحْسَنَ الْوُجُوهِ أَنَّ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: تَوْحِيدٌ، وَقَصَصٌ، وَأَحْكَامٌ، وَهَذِهِ السُّورَةُ صِفَةُ الرَّحْمَنِ فِيهَا التَّوْحِيدُ وَحْدَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، وَالْكَلَامُ نَوْعَانِ: إمَّا إنْشَاءٌ وَإِمَّا إخْبَارٌ، وَالْإِخْبَارُ إمَّا خَبَرٌ عَنْ الْخَالِقِ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ الْمَخْلُوقِ، فَالْإِنْشَاءُ هُوَ الْأَحْكَامُ كَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْخَبَرُ عَنْ الْمَخْلُوقِ هُوَ الْقَصَصُ، وَالْخَبَرُ عَنْ الْخَالِقِ هُوَ ذِكْرُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ سُورَةٌ هِيَ وَصْفُ الرَّحْمَنِ مَحْضًا إلَّا هَذِهِ السُّورَةَ»[2].

وقد أدرج شيخ الإسلام الوعد والوعيد في القصص حيث ارتضىٰ قول الإمام أبي العباس ابن سُرَيج في أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن فقال: «الْجَوَابُ الْمَنْقُولُ عَنْ الْإِمَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ سُرَيْجٍ فَعَنْ أَبِي الْوَلِيدِ الْقُرَشِيِّ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ سُرَيْجٍ عَنْ مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٩٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ١٣٤).

تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَقَالَ: مَعْنَاهُ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: ثُلُثٌ مِنْهَا الْأَحْكَامُ، وَثُلُثٌ مِنْهَا وَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَثُلُثٌ مِنْهَا الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ»[١].

الثالث عاشر: الإمام ابن جُزَي الغرناطي (ت:٧٤١هـ): جعل في مقدمة تفسيره الباب الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، جمع فيه الحديث بين مقاصد القرآن وموضوعات القرآن، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلىٰ عبادة الله وإلىٰ الدخول في دينه، ثم إنّ هذا المقصد يقتضي أمرين لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله، أحدهما: بيان العبادة التي دعي الخلق إليها، والأخرىٰ: ذكر بواعث تبعثهم علىٰ الدخول فيها وتردّدهم إليها، فأما العبادة فتنقسم إلىٰ نوعين: وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال، وأما البواعث عليها فأمران: وهما الترغيب والترهيب، وأما علىٰ التفصيل فاعلم أنّ معاني القرآن سبعة هي: علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص»[٢]، وقال في سورة الإخلاص: «أن علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقصص، وقد اشتملت هذه السورة علىٰ التوحيد، فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار»[٣].

الرابع عشر: قال علاء الدين الخازن (ت: ٧٤١ هـ): قسّم القرآن علىٰ ثلاثة أقسام فقال: «إن القرآن علىٰ ثلاثة أنحاء قصص، وأحكام وصفات الله

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ١٠٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٤).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٢٣).

تعالىٰ، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ متضمنة للصفات، فهي ثلث القرآن، وجزء من ثلاثة أجزاء»[١].

الخامس عشر: شرف الدين الطِّيبي (ت: ٧٤٣ هـ): قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جاء في الحديث أنها تعدل ثلث القرآن؛ لأن مقاصد القرآن محصورةٌ في بيان العقائد، والأحكام، والقصص، ومَن عَدَلَها بكلّه اعتبر المقصود بالذات من ذلك»[٢].

السادس عشر: أبو حيّان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ): قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مدار القرآن علىٰ تقرير المسائل الأربع: التوحيد، والقدرة، والمعاد، والنبوة»[٣].

السابع عشر: الإمام ابن القيِّم (ت: ٧٥١ هـ): وهو يتحدث عن سورة الفاتحة، قال: «اعلم أن هذه السورة اشتملت علىٰ أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت علىٰ التعريف بالمعبود تبارك وتعالىٰ بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا إليها ومدارها عليها، وهي: الله والرب الرحمن.. وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيّئها..، وتضمنت إثبات النبوات»[٤].

الثامن عشر: الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ): نجده يتحدث عن مقاصد القرآن ويسميها: بالمقاصد العظيمة للقرآن الكريم، فيقول: «إنَّ رَسُولَ اللهِ

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٩٦).

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي علىٰ الكشاف) (١٦/ ٦٤٠).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٦٤).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٧).

صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ بِقَافٍ، وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، فِي الْأَضْحَىٰ والفِطْرِ، وَكَانَ يَقْرَأُ بِهِمَا فِي الْمَحَافِلِ الْكِبَارِ، لِاشْتِمَالِهِمَا عَلَىٰ ذِكْرِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَبَدْءِ الْخَلْقِ وَإِعَادَتِهِ، وَالتَّوْحِيدِ وَإِثْبَاتِ النُّبُوَّاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْعَظِيمَةِ»[1].

التاسع عشر: ابن عادل الحنبلي (ت: ٧٧٥ هـ): نجده قرّر في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣] أن مقاصد القرآن أربعة، فقال: «تقدّم أنَّ مدار القرآن علىٰ تَقْرِير هذه المسائل الأربع وهي: التَّوحِيدُ، والنبوةُ، والمعادُ، والقضاءُ والقدرُ»[2]، ثم قرّر في آخر تفسيره أن أصول القرآن تنحصر في ثلاثة مقاصد: التوحيد، والنبوات، والبعث، فقال في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]: «اعلم أنه تعالىٰ قرر من أول سورة إلىٰ ههنا أمر التوحيد والنبوة، ثم ذكر ههنا تقرير القادر، من تأمل في ذلك علم أن المقصود من القرآن كله تقرير هذه الأصول الثلاثة، واعلم أن المقصود من هذه الآية الدلالة علىٰ كونه تعالىٰ قادرًا علىٰ البعث، لأنه تعالىٰ أقام الدليل علىٰ خلق السموات والأرض، وخلقهما أعظم من إعادة هذا الشّخص حيًّا بعد أن كان ميّتًا، والقادر علىٰ

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٧٠).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٩/ ١٤٠).

الأكمل لا بدّ وأن يكون قادرًا علىٰ ما دونه»(١)، ولعلَّ هذا يجعلنا نرجِّح أنَّ مقاصد القرآن عنده ثلاثة، والله أعلم.

العشرون: الإمام الشاطبي (ت: ٧٩٠ هـ): له تميزه في تناول موضوع مقاصد القرآن، فجاء كلامه في ثلاث نقاط:

الأولىٰ: عن أهمية المقاصد في التدبر: فقال في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤]: «فَالتَّدَبُّرُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنِ الْتَفَتَ إِلَىٰ الْمَقَاصِدِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ؛ فَلَمْ يَحْصُلْ مِنْهُمْ تَدَبُّرٌ»(٢).

والثانية: تفرد بالحديث عن مقاصد القرآن المكي: ذكر في مقدّمة سورة المؤمنون مبيّنًا أن القرآن المكي اشتمل علىٰ كليات القرآن التي لم يدخلها نسخ، وأن القرآن المدني جاء مفصّلًا ومقرّرًا لها، وفرّع تشريعاته علىٰ تلك الكليّات، فقال: «اعْلَمْ أَنَّ الْقَوَاعِدَ الْكُلِّيَّةَ هي الموضوعة أولًا، وهي التي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ تَبِعَهَا أَشْيَاءُ بِالْمَدِينَةِ، كَمُلَتْ بِهَا تِلْكَ الْقَوَاعِدُ الَّتِي وُضِعَ أَصْلُهَا بِمَكَّةَ، وَكَانَ أَوَّلُهَا الْإِيمَانَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ثُمَّ تَبِعَهُ مَا هُوَ مِنَ الْأُصُولِ الْعَامَّةِ؛ كَالصَّلَاةِ، وَإِنْفَاقِ الْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.. وَإِنَّمَا كَانَتِ الْجُزْئِيَّاتُ الْمَشْرُوعَاتُ بِمَكَّةَ قَلِيلَةً، وَالْأُصُولُ الْكُلِّيَّةُ كَانَتْ فِي

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٤١٨).

(٢) الموافقات (٣/ ٣٣٦).

النُّزُولِ وَالتَّشْرِيعِ أَكْثَرُ، ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَاتَّسَعَتْ خُطَّةُ الْإِسْلَامِ؛ كَمُلَتْ هُنَالِكَ الْأُصُولُ الْكُلِّيَّةُ عَلَىٰ تَدْرِيجٍ؛ كَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ، وَتَحْرِيمِ الْمُسْكِرَاتِ، وَتَحْدِيدِ الْحُدُودِ الَّتِي تَحْفَظُ الْأُمُورَ الضَّرُورِيَّةَ وَمَا يُكَمِّلُهَا وَيُحَسِّنُهَا، وَرَفْعِ الْحَرَجِ بِالتَّخْفِيفَاتِ وَالرُّخَصِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ تَكْمِيلٌ لِلْأُصُولِ الْكُلِّيَّةِ»[(١)].

وقال عن مقاصد القرآن المكي: «غَالِبُ الْمَكِّيِّ أَنَّهُ مُقَرِّرٌ لِثَلَاثَةِ مَعَانٍ، أَصْلُهَا مَعْنًىٰ وَاحِدٌ، وَهُوَ الدُّعَاءُ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ:

أَحَدُهَا: تَقْرِيرُ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْحَقِّ، غَيْرَ أَنَّهُ يأتي علىٰ وجوه؛ كنفي الشَّرِيكِ بِإِطْلَاقٍ، أَوْ نَفْيِهِ بِقَيْدِ مَا ادَّعَاهُ الْكُفَّارُ فِي وَقَائِعَ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْ كَوْنِهِ مُقَرِّبًا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، أَوْ كَوْنِهِ وَلَدًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الدَّعَاوَىٰ الْفَاسِدَةِ.

وَالثَّانِيَة: تَقْرِيرُ النُّبُوَّةِ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا، صَادِقٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ إِلَّا أَنَّهُ وَارِدٌ عَلَىٰ وُجُوهٍ أَيْضًا؛ كَإِثْبَاتِ كَوْنِهِ رَسُولًا حَقًّا، وَنَفْيِ مَا ادَّعَوْهُ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّهُ كَاذِبٌ، أَوْ سَاحِرٌ، أَوْ مَجْنُونٌ، أَوْ يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

وَالثَّالِثُ: إِثْبَاتُ أَمْرِ الْبَعْثِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ وَأَنَّهُ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ بِالْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ، وَالرَّدُّ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ بِكُلِّ وَجْهٍ يُمْكِنُ الْكَافِرُ إِنْكَارُهُ بِهِ؛ فَرَدَّ بِكُلِّ وَجْهٍ يُلْزِمُ الْحُجَّةَ، وَيُبَكِّتُ الْخَصْمَ، وَيُوَضِّحُ الْأَمْرَ. فَهَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةُ هِيَ

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٠٩).

الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا الْمُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ فِي عَامَّةِ الْأَمْرِ، وَمَا ظَهَرَ بِبَادِئِ الرَّأْيِ خُرُوجُهُ عَنْهَا؛ فَرَاجِعٌ إِلَيْهَا فِي مَحْصُولِ الْأَمْرِ، وَيَتْبَعُ ذَلِكَ التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ، وَالْأَمْثَالُ وَالْقَصَصُ، وَذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَوَصْفُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ»[1].

والثالثة: تحدّث عن مقاصد القرآن في الجملة: فقال: «إِنَّهُ محتوٍ مِنَ الْعُلُومِ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَجْنَاسٍ هِيَ الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ:

أَحَدُهَا: مَعْرِفَةُ الْمُتَوَجَّهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ اللهُ الْمَعْبُودُ سُبْحَانَهُ.

وَالثَّانِي: مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ.

وَالثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ مَآلِ الْعَبْدِ لِيَخَافَ اللهَ بِهِ وَيَرْجُوَهُ.

وَهَذِهِ الْأَجْنَاسُ الثَّلَاثَةُ دَاخِلَةٌ تَحْتَ جِنْسٍ وَاحِدٍ هُوَ الْمَقْصُودُ، عَبَّرَ عَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٥٦]؛ فَالْعِبَادَةُ هِيَ الْمَطْلُوبُ الْأَوَّلُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْمَعْبُودِ؛ إِذِ الْمَجْهُولُ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ وَلَا يُقْصَدُ بِعِبَادَةٍ وَلَا بِغَيْرِهَا، فَإِذَا عُرِفَ -وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ أَنَّهُ آمِرٌ وناهٍ وَطَالِبٌ لِلْعِبَادِ بِقِيَامِهِمْ بِحَقِّهِ- تَوَجَّهَ الطَّلَبُ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَتَأَتَّىٰ دُونَ معرفة كيفية التعبد؛ فجيء بالجنس الثاني، وَلَمَّا كَانَتِ النُّفُوسُ مِنْ شَأْنِهَا طَلَبُ النَّتَائِجِ وَالْمَآلَاتِ، وَكَانَ مَآلُ الْأَعْمَالِ عَائِدًا عَلَىٰ الْعَامِلِينَ، بِحَسَبِ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَانْجَرَّ مَعَ ذَلِكَ التَّبْشِيرُ وَالْإِنْذَارُ فِي

(١) الموافقات (٤/ ٢٦٩ - ٢٧٠).

ذِكْرِهَا أَتَىٰ بِالْجِنْسِ الثَّالِثِ مُوَضِّحًا لِهَذَا الطَّرَفِ، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ، وَإِنَّمَا الْإِقَامَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

فَالْأَوَّلُ: يَدْخُلُ تَحْتَهُ عِلْمُ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَيَتَعَلَّقُ بِالنَّظَرِ فِي الصِّفَاتِ أَوْ فِي الْأَفْعَالِ النَّظَرُ فِي النُّبُوَّاتِ؛ لِأَنَّهَا الْوَسَائِطُ بَيْنَ الْمَعْبُودِ وَالْعِبَادِ، وَفِي كُلِّ أَصْلٍ ثَبَتَ لِلدِّينِ عِلْمِيًّا كَانَ أَوْ عَمَلِيًّا، وَيَتَكَمَّلُ بِتَقْرِيرِ الْبَرَاهِينِ، وَالْمُحَاجَّةِ لِمَنْ جَادَلَ خَصْمًا مِنَ الْمُبْطِلِينَ.

وَالثَّانِي: يَشْتَمِلُ عَلَىٰ التَّعْرِيفِ بِأَنْوَاعِ التَّعَبُّدَاتِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَمَا يَتْبَعُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنَ الْمُكَمِّلَاتِ، وَهِيَ أَنْوَاعُ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، وَجَامِعُهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالنَّظَرُ فِيمَنْ يَقُومُ بِهِ.

وَالثَّالِثُ: يَدْخُلُ فِي ضِمْنِهِ النَّظَرُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: الْمَوْتِ وَمَا يَلِيهِ، وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا يَحْوِيهِ، وَالْمَنْزِلِ الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ، وَمُكَمِّلُ هَذَا الْجِنْسِ التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ، وَمِنْهُ الْإِخْبَارُ عَنِ النَّاجِينَ وَالْهَالِكِينَ وَأَحْوَالِهِمْ، وَمَا أداهم إليه حاصل أعمالهم»[(١)].

الحادي والعشرون: بدر الزَّرْكَشي (ت: ٧٩٤ هـ): تحدّث عن مقاصد القرآن فقال: «الْقَصْدَ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ تَعْلِيمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَتَعْرِيفُ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدِ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يُقْصَدْ مِنْهُ تَعْلِيمُ طُرُقِ الْفَصَاحَةِ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ لِتَكُونَ مُعْجِزَةً»[(٢)].

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٠٤).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣١٢).

وقال: «وَأُمُّ عُلُومِ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: تَوْحِيدٌ، وَتَذْكِيرٌ، وَأَحْكَامٌ، فَالتَّوْحِيدُ تَدْخُلُ فِيهِ مَعْرِفَةُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمَعْرِفَةُ الْخَالِقِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَالتَّذْكِيرُ وَمِنْهُ: الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَتَصْفِيَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَالْأَحْكَامُ وَمِنْهَا: التَّكَالِيفُ كُلُّهَا، وَتَبْيِينُ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالنَّدْبُ»[(١)].

الثاني والعشرون: نظام الدين النيسابوري (ت: ٨٥٠ هـ): نجده يتحدث عن مقاصد القرآن ويقرّر نفس ما قاله الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، فقال: «إنه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم علىٰ تقرير التوحيد، والنبوة، والمعاد، وإثبات القضاء والقدَر»[(٢)].

الثالث والعشرون: الشيخ برهان الدين البِقاعي (ت: ٨٨٥ هـ): يقرّر مقاصد القرآن فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما بيّن التوحيد والنبوة والقضاء والقدر، أتبعه المعاد لتكمل المطالب الأربعة التي هي أمهات مطالب القرآن»[(٣)].

وقال: «مدار القرآن علىٰ تقرير الأصول الأربع: التوحيد، والنبوة، والمعاد، والعلم»[(٤)].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٧).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٧٦).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/ ١٦٥).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٤١٣).

الرابع والعشرون: الكوراني (ت: ٨٩٣ هـ): قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مقاصد القرآن ثلاثة: عقائد، وأحكام، وقصص»[١].

الخامس والعشرون: جلال الدين السُّيوطي (ت: ٩١١ هـ): تحدّث عن مقاصد القرآن من خلال كلامه عن فضل سورة الفاتحة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة؛ لأنها جمعت مقاصد القرآن؛ ولذلك كان من أسمائها: أم القرآن، وأم الكتاب، والأساس، فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال.. وبيان اشتمالها علىٰ علوم القرآن، قرّره الزمخشري باشتمالها علىٰ الثناء علىٰ الله بما هو أهله، وعلىٰ التعبد، والأمر والنهي، وعلىٰ الوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخلو عن هذه الأمور»[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْعُلُومَ الَّتِي احْتَوَىٰ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ وَقَامَتْ بِهَا الْأَدْيَانُ أَرْبَعَةٌ: عِلْمُ الْأُصُولِ وَمَدَارُهُ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وَمَعْرِفَةُ النُّبُوَّاتِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِـ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وَمَعْرِفَةُ الْمَعَادِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِـ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وَعِلْمُ الْعِبَادَاتِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وعلم السلوك وهو عمل النَّفْسِ عَلَىٰ

---

(١) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني: من أول سورة النجم إلىٰ آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، رسالة دكتوراه، (تركيا: جامعة صاقريا، كلية العلوم الاجتماعية، ٢٠٠٧م)، (ص: ٤٥٩).

(٢) أسرار ترتيب القرآن (ص: ٤٩).

الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَالِانْقِيَادِ لِرَبِّ الْبَرِيَّةِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، عِلْمُ الْقَصَصِ وَهُوَ الِاطِّلَاعُ عَلَىٰ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ؛ لِيَعْلَمَ الْمُطَّلِعُ عَلَىٰ ذَلِكَ سَعَادَةَ مَنْ أَطَاعَ اللهَ، وَشَقَاوَةَ مَنْ عَصَاهُ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فَنَبَّهَ فِي الْفَاتِحَةِ عَلَىٰ جَمِيعِ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْغَايَةُ فِي بَرَاعَةِ الِاسْتِهْلَالِ»[1]، وهو يقصد بالعلوم: المقاصد العامة للقرآن.

السادس والعشرون: الشيخ ولي الله الدَّهلوي (ت: ١١٧٦ هـ): ذكر خمسة علوم أساسية يشتمل عليها القرآن، وهو يقصد بها المقاصد العامة للقرآن، فقال: «ليعلم أن المعاني التي يشتمل عليها القرآن لا تخرج عن خمسة علوم:

١) علم الأحكام: كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات أو المعاملات، أو الاجتماع أو السياسة المدنية، ويرجع تفصيل هذا العلم وشرحه إلىٰ الفقيه.

٢) علم الجدل: وهي المحاجة مع الفرق الأربع الباطلة، اليهود والنصارىٰ والمشركين والمنافقين، ويرجع في شرح هذا العلم وتعريفه إلىٰ المتكلم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٦٤).

٣) علم التذكير بآلاء الله: كبيان خلق السموات والأرض، وإلهام العباد ما يحتاجون إليه، وبيان الصفات الإلهية.

٤) علم التذكير بأيام الله: وهو بيان تلك الوقائع والحوادث التي أحدثها الله -تعالىٰ- إنعامًا علىٰ المطيعين ونكالا للمجرمين: كقصص الأنبياء -عليهم الصلوات التسليمات- ومواقف شعوبهم وأقوامهم معهم.

٥) علم التذكير بالموت وما بعد الموت: كالحشر والنشر والحساب والميزان والجنة والنار، ويرجع تفصيل هذه العلوم وبيانها؛ وذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بها إلىٰ الواعظ والمذكِّر»[1].

السابع والعشرون: العلامة الألوسي (ت: ١٢٧٠ هـ): نجده رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعدد مقاصد القرآن فيقول: «إن مقاصد القرآن العظيم لا تنحصر في الأمر والنهي المذكورين؛ بل هو مشتمل علىٰ مقاصد أخرىٰ كأحوال المبدأ والمعاد، ومن هنا قيل لعل الأقرب أن يقال: أن مقاصد القرآن: التوحيد، والأحكام الشرعية، وأحوال المعاد»[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سورة العصر: «وهذه السورة تشتمل علىٰ سدس من مقاصد القرآن فإنها علىٰ ما ذكره الغزالي ستة مقاصد، ثلاثة مهمة وهي: تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم، وتعريف الحال عند الرجوع إليه

---

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير (ص: ٢٩).

(٢) روح المعاني (٣٠/ ٢٥٠).

عَزَّوَجَلَّ، وثلاثة متمّة وهي: تعريف أحوال المطيعين، وحكاية أقوال الجاحدين، وتعريف منازل الطريق؛ وأحدها: معرفة الآخرة المشار إليه بتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالىٰ المشتمل عليه السورة، والتعبير علىٰ هذا المعنىٰ بألف آية أفخم وأجل من التعبير بالسدس انتهىٰ، والأمر واللّه تعالىٰ أعلم وراء ذلك ومناسبتها لما قبلها ظاهرة»[١].

الثامن والعشرون: الأستاذ محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤ هـ): نجد الحركة الإصلاحية التي قادها محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا، اهتمت بصورة كبيرة بموضوع المقاصد، وشنَّت هجومًا علىٰ التفاسير التي لا تخدم بيان المقاصد التي من أجلها أنزل القرآن، فيقول: «أنَّ أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره؛ حجاب علىٰ القرآن، وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس، المنوّرة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات، التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا»[٢]، ثم يذكر مقاصد عامة متأثرا فيها بنظرته الإصلاحية الاجتماعية، معنونًا لذلك بقوله: «مقاصد القرآن في ترقية نوع الإنسان وما فيه من التكرار»، ثم قال: «إن مقاصد القرآن من إصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم، وإدخالهم في طور الرشد، وتحقيق أخوَّتهم الإنسانية ووحدتهم، وترقية عقولهم وتزكية أنفسهم، منها ما يكفي بيانه لهم في الكتاب مرة أو مرتين أو مرارا قليلة، ومنها

(١) روح المعاني (١٥/ ٤٥١).

(٢) تفسير المنار (١/ ١٠).

ما لا تحصل الغاية إلا بتكرار كثير؛ لأجل أن يجتث من أعماق الأنفس كل ما كان فيها من آثار الوراثة، والتقاليد والعادات القبيحة الضارة، ويغرس في مكانها أضدادها، ويتعاهد هذا الغرس بما ينميه حتىٰ يؤتي أكله ويينع ثمره، ومنها ما يجب أن يبدأ بها كاملة، ومنها ما لا يمكن كماله إلا بالتدريج، ومنها ما لا يمكن وجوده إلا في المستقبل، فيوضع له بعض القواعد العامة، ومنها ما يكفي فيه الفحوىٰ والكناية»[١].

ثم ذكر أصول مقاصد القرآن، وفصّل في كل نوع منها، وهي تتلخص في الآتي:

«النوع الأول من مقاصده: الإصلاح الديني لأركان الدين الثلاثة، ولخَّصها في: الإيمان بالله، وعقيدة البعث والجزاء، والعمل الصالح[٢].

المقصد الثاني من مقاصد القرآن: بيان ما جهل البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل.

المقصد الثالث من مقاصد القرآن: بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة، والعقل والفكر، والعلم والحكمة، والبرهان والحجة، والضمير والوجدان، والحرية والاستقلال.

المقصد الرابع من مقاصد القرآن: الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي الذي يتحقق بالوحدات الثمان: (وحدة الأمة - وحدة الجنس

(١) تفسير المنار (١١/ ١٧٠).

(٢) وقال عنها: «وهي الأركان الأساسية التي بعث الله بها الرسل، وعلّق سعادة البشر عليها».

البشري - وحدة الدين - وحدة التشريع بالمساواة في العدل - وحدة الأخوة الروحية والمساواة في التعبد - وحدة الجنسية السياسية الدولية - وحدة القضاء - وحدة اللغة).

المقصد الخامس من مقاصد القرآن: تقرير مزايا الإسلام العامة في التكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات.

المقصد السادس من مقاصد القرآن: بيان حكم الإسلام السياسي الدولي (نوعه - وأساسه - وأصوله العامة).

المقصد السابع من فقه القرآن: الإرشاد إلىٰ الإصلاح المالي.

المقصد الثامن من فقه القرآن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها، وقصرها علىٰ ما فيه الخير للبشر.

المقصد التاسع من فقه القرآن: إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

المقصد العاشر من فقه القرآن: تحرير الرقبة»[١].

وقد فصَّل في هذه المقاصد وأطال فيها في كتابه: «المنار»؛ ولكن يبدو مما أورده رشيد رضا عن «مقاصد القرآن» أنه كان متأثرًا بمنهج أستاذه محمد عبده في البُعد الاجتماعي، والعناية بالقضايا الحضارية، والسنن الاجتماعية

---

(١) تفسير المنار (١١/ ١٧١ - ٢٣٦).

والتاريخية، وحاول أن يجعلها من صلب مقاصد القرآن، وأضاف إليها أبعادًا سياسية وفقهية كانت ملحّة في عصره، حتىٰ بدت مقاصد القرآن أقرب إلىٰ مقاصد الإسلام ومقاصد الشريعة العامة، مما يسمح بالتساؤل عمَّا إذا كان ذكره لهذه المقاصد قائمًا علىٰ استقراء وحصر، أم فقط علىٰ مجرد جمع لما يتصل بتصوره عن الإصلاح الإسلامي، وقد أخذ عليه عدم تمييزه بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة، وبعض ما أورده أقرب إلىٰ مزايا الإسلام وخصائص الشريعة، وذكره مقاصد فرعية ثانوية، تنطوي ضمن مقاصد أعم بحيث يمكن اختصارها[١].

التاسع والعشرون: الأستاذ أحمد مصطفىٰ المَراغي (ت: ١٣٧١ هـ): نجده يتحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سبب تسمية الفاتحة: «بأم الكتاب، أم القرآن»، فقال: «لاشتمالها علىٰ مقاصد القرآن من الثناء علىٰ الله، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده»[٢].

الثلاثون: سعيد النَّوْرَسي (ت: ١٣٧٩ هـ): ذكر أربعة مقاصد فقال: «إنَّ المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة،

---

(١) انظر: جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، للدكتور مسعود بودوخة، بحث مشارك في أعمال (المؤتمر العلمي الأول للباحثين في القرآن الكريم: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه)، تنظيم مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء بالتعاون مع مراكز أخرىٰ، (فاس - ١٦ أبريل ٢٠١١ م).

(٢) تفسير المراغي (١/ ٢٣).

والحشر، والعدالة»[١].

ويرىٰ أن هذه المقاصد الأربعة في عامة سوره فيقول: «فكما تتراءىٰ هذه المقاصد الأربعة في القرآن كله، كذلك قد تتجلىٰ في سورةٍ سورة، بل قد يُلْمَح بها في كلامٍ كلام، بل قد يُرْمَز إليها في كلمةٍ كلمة؛ لأن كل جزءٍ فجزء كالمرآة لكلٍ فكلٍ متصاعدًا، كما أنّ الكل يتراءىٰ في جزءٍ فجزءٍ متسلسلا»[٢].

الحادي والثلاثون: محمود شَلْتوت (ت: ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م): قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن مقاصد القرآن تدور حول نواح ثلاث: ناحية العقيدة، وناحية الأخلاق، وناحية الأحكام»[٣].

الثاني والثلاثون: الشيخ عبد القادر مُلاّ حويش آل غازي (ت: ١٩٧٨ م): قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن مقاصده: «اعلم أنّ مقاصد القرآن ثلاثة، الأول: ما يتعلق بالإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو مباحث علم الكلام وأصول الدين.

الثاني: ما يتعلق بأفعال القلوب والمَلَكات في الحث علىٰ مكارم الأخلاق، وهو مباحث علم الآداب والإحسان.

---

(١) إشارات الإعجاز (ص: ٢٣).

(٢) المصدر السابق (ص: ٢٤).

(٣) إلىٰ القرآن الكريم (ص: ٥).

الثالث: ما يتعلق بأفعال الجوارح في الأوامر والنواهي، وهو مباحث علم الفقه والمعاملات، إذًا يعلن هذا القرآن العظيم أنه إنما أنزل لإصلاح البشر مصرّحا علىٰ لسان المنزّل عليه بقوله جلّ قوله: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧] في سورة الأعراف الآتية، وعليه فإنه جامع لكل خير مانع لكل شر»[(١)].

الثالث والثلاثون: الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): فقد ذكر مقاصده فقال: «المقصد الأعلىٰ منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكِبْر.

وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد علىٰ ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض؛ علىٰ وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات، ومواثبة القوىٰ النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، ويعبّر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية.

---

(١) بيان المعاني (١/ ٢٢).

وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك؛ إذًا هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض علىٰ وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكليّة الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمىٰ هذا بعلم العمران، وعلم الاجتماع»[١].

ثم ذكر ثمانية مقاصد، فقال: «أليس قد وجب علىٰ الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها؛ فلنلم بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا، وهي ثمانية أمور، الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقيدة الصحيحة، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلْق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهّر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما..

الثاني: تهذيب الأخلاق..

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة..

الرابع: سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها ..

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم.. وللتحذير من مساوئهم..

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٨).

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطَبين، وما يؤهلهم إلىٰ تلقي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع، وعلم الأخبار..

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة علىٰ صدق الرسول؛ إذ التصديق يتوقف علىٰ دلالة المعجزة بعد التحدي.. هذا ما بلغ إليه استقرائي، وللغزالي في «إحياء علوم الدين» بعضٌ من ذلك»[١].

ثم نجده قد لخَّص مقاصده في ثلاثة مقاصد في تفسيره لسورة الفاتحة، فقال: «أنها تشتمل محتوياتها علىٰ أنواع مقاصد القرآن وهي ثلاثة أنواع: الثناء علىٰ الله ثناءً جامعًا لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه عن جميع النقائص، ولإثبات تفرده بالإلهية، وإثبات البعث والجزاء، وذلك من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، والأوامر والنواهي من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والوعد والوعيد من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرُها تكملات لها؛ لأن القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارين، وذلك يحصل بالأوامر والنواهي، ولما توقفت الأوامر

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٩ - ٤٢).

والنواهي علىٰ معرفة الآمر وأنه الله الواجب وجوده خالق الخلق، لزم تحقيق معنىٰ الصفات، ولما توقف تمام الامتثال علىٰ الرجاء في الثواب والخوف من العقاب، لزم تحقق الوعد والوعيد، والفاتحة مشتملة علىٰ هذه الأنواع فإن قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ حمد وثناء، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ من نوع الأوامر والنواهي، وقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ من نوع الوعد والوعيد، مع أن ذكر المغضوب عليهم والضالين يشير أيضا إلىٰ نوع قصص القرآن، وقد يؤيد هذا الوجه بما ورد في الصحيح في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أنها تعدل ثلث القرآن؛ لأن ألفاظها كلها ثناء علىٰ الله تعالىٰ»[(١)].

الرابع والثلاثون: وهبة الزُّحَيلي (ت: ١٤٣٦ هـ): وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن مدار القرآن الكريم علىٰ إثبات أصول الدين وهي: التوحيد، والنبوة، والبعث (المعاد)، والقضاء والقدَر»[(٢)].

وقد اخترت هؤلاء الأعلام لسبقهم، ولباعهم الطويل في التفسير، وجهود بعضهم البارز في مجال المقاصد، فإن طول الممارسة تورث عمقًا في الفهم لا يتوفر لغيرهم، وتركت ما كتبه بعض المعاصرين من مقاصد مثل: الشيخ محمد الغزالي، والشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ الدكتور

(١) التحرير والتنوير (١/ ١٣٣).

(٢) التفسير المنير (٨/ ٦٧).

طه جابر العلواني وغيرهم؛ لأن الأواخر غالبهم بنىٰ كلامه علىٰ من سبقه، وكذلك من خلال استقراء أقوال المعاصرين، لم أجدهم استندوا علىٰ قواعد بحثية واضحة، تقبل التقويم والمراجعة فيما ذكروه من نتائج تتميز عن العلماء السابقين.





الجدول البياني لأقوال العلماء في مقاصد القرآن

م	الإمام	المقصد الأول	المقصد الثاني	المقصد الثالث	المقصد الرابع
١	ابن سُرَيج البغدادي	الأسماء والصفات	الأحكام	الوعد والوعيد	
٢	ابن جَرير	التوحيد	الأحكام	الأخبار	
٣	الغزالي	معرفة الله تعالىٰ	الصراط المستقيم	معرفة الآخرة	
٤	الكِرْماني	توحيد الله	الأوامر والنواهي	قصص الأنبياء والمواعظ	
٥	المَازَرِي	الصفات	الأحكام	القصص	
٦	ابن العربي	توحيد	أحكام	تذكير	

م	الإمام	المقصد الأول	المقصد الثاني	المقصد الثالث	المقصد الرابع
٧	الرازي	التوحيد+ الإلهيات	النبوة	المعاد	
٨	البيضاوي	العقائد	الأحكام	القصص	
٩	النَّسَفي	توحيد الله	الأوامر والنواهي	قصص الأنبياء والمواعظ	
١٠	ابن تيمية	توحيد	أحكام	قصص + وعد ووعيد	
١١	ابن جُزَي	توحيد	الأحكام	القصص	
١٢	الخازن	الأسماء والصفات	الأحكام	القصص	
١٣	الطِّيبي	العقائد	الأحكام	القصص	
١٤	أبو حيّان	التوحيد	النبوة	المعاد	القدَر
١٥	ابن القيِّم	التعريف بالمعبود	النبوة	المعاد والجزاء علىٰ الأعمال	

م	الإمام	المقصد الأول	المقصد الثاني	المقصد الثالث	المقصد الرابع
١٦	ابن كثير	التوحيد	النبوة	الوعد والوعيد	
١٧	ابن عادل الحلبي	التوحيد	النبوة	المعاد	
١٨	الشاطبي	تقرير الوحدانية	النبوة	البعث والجزاء	
١٩	الزَّرْكَشي	توحيد	الأحكام	تذكير	
٢٠	النيسابوري	التوحيد	النبوة	المعاد	القضاء والقدر
٢١	البِقاعي	التوحيد	النبوة	المعاد	القضاء والقدر
٢٢	الكوراني	العقائد	الأحكام	القصص	
٢٣	السُّيوطي	معرفة الله وصفاته	العبادات والسلوك	المعاد	القصص
٢٤	الدَّهلوي	التذكير بآلاء الله	الأحكام	علم التذكير بالموت وما بعد الموت + علم التذكير بأيام الله	علم الجدل (ذكر خمسة مقاصد)

م	الإمام	المقصد الأول	المقصد الثاني	المقصد الثالث	المقصد الرابع
٢٥	الأَلوسي	التوحيد	الأحكام	أحوال المعاد	
٢٦	محمد رشيد رضا	الإيمان بالله	العمل الصالح	عقيدة البعث والجزاء	(ذكر عشر مقاصد)
٢٧	المَراغي	الثناء علىٰ الله	التعبد بأمره ونهيه	وعده ووعيده	
٢٨	النُّوْرَسي	التوحيد	النبوة	الحشر	العدالة
٢٩	محمود شَلْتوت	العقيدة	الأحكام	الأخلاق	
٣٠	مُلاّ حويش	الإيمان باللّه	الأوامر والنواهي	أفعال القلوب والمَلَكات	
٣١	ابن عاشور	الثناء علىٰ الله	الأوامر والنواهي	الوعد والوعيد	
٣٢	الزُّحَيلي	التوحيد	النبوة	المعاد	القضاء والقدر

من خلال نظرة تحليلية دقيقة لما سبق ذكره من أقوال العلماء حول مضمون مقاصد القرآن الكريم، نصل إلىٰ النتائج الآتية:

أولًا: اتفاق العلماء علىٰ وجود مقاصد للقرآن الكريم:

العلماء لم يختلفوا في وجود مقاصد كبرىٰ للقرآن الكريم دارت حولها الآيات والموضوعات والسور، وهي جامعة لما تناثر من هدايات وأحكام الكتاب العزيز في جمله وآياته وسوره، بل انعقد الإجماع كما سبق في كلام الآمدي علىٰ ذلك حيث لم ينقل ما يخالف هذا؛ ولأن القول بعدم المقصد والحكمة ينافي ما وصف به كتابه من الحكمة، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١، ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يسٓ ١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢]، فهو الذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، قال الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذِّكر الحكيم القرآن، وصف بصفة من هو سببه، أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حِكمه»[1].

كما هو عيب ينزه عنه منزّله الله جلّ وعلا العليم العزيز الحكيم، ولذا ربط الله تعالىٰ بين نزول كتابه، ووصفه جلّ وعلا بالعزيز الحكيم في أربعة مواضع في كتابه، قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]،

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٣٦٧).

وقال تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الشورىٰ: ١-٣]، وقال تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ١، ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الأحقاف: ١، ٢].

ثانيًا: قِدم الحديث عن مقاصد القرآن الكريم:

الحديث عن مقاصد القرآن ليس من الموضوعات الحديثة في الدراسات القرآنية كما يظن البعض، وسجل بعض الباحثين ذلك في بحوثهم؛ بل هو سابق لكثير من العلوم، ويعتبر الإمام الغزالي من خلال كتابه: «جواهر القرآن الكريم»، هو أول من تكلم عن مقاصد القرآن بصورة واضحة، وبيَّن الغايات الكبرىٰ التي دار حولها القرآن الكريم مع أنه مسبوق بالفكرة؛ ثم توالت كتابات العلماء بعده ولم تنقطع حتىٰ يومنا هذا؛ لكنها لم تجد من الخدمة العلمية ما وجدته مقاصد الشريعة عند الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن بعده من العلماء؛ ولكن في العصر الحديث ظهرت العناية بموضوع المقاصد في كثير من البحوث والدراسات التي أفردته بالتأليف، وتنوعت في طرق تناول موضوعه ومعالجته؛ وكلٌّ حاول أن يستفيد مما شاده الأقدمون، ولعل بعض المؤتمرات الذي عقدت لهذا الشأن أسهمت بصورة كبيرة في إلقاء الضوء علىٰ الموضوع.

ثالثًا: قلة عدد المقاصد العامة التي تحدّث عنها العلماء:

لقد تباينت أقوال العلماء في تحديد عدد مقاصد القرآن، وفي ترتيبها، وقد جاءت أقوالهم علىٰ النحو الآتي:

القول الأول: إنها ثلاثة مقاصد

وهذا هو قول جمهور العلماء منهم: ابن سُرَيج، وابن جَرير، والغزالي، والكِرْماني، والمازَري، وابن العربي، والبيضاوي، والرازي، والنَّسَفي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم ، وابن جُزَي، والخازِن، والطِّيبي، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والشاطبي، والزَّرْكَشي، والكوراني، والأَلوسي، وأحمد مصطفىٰ المَراغي، والنَّوْرَسي، ومحمود شَلْتوت، والشيخ عبد القادر مُلاّ حويش، وابن عاشور.

فهم خمس وعشرون من اثنين وثلاثين ممكن تكلموا عن عدد المقاصد بصورة واضحة، وقد رجّحه عدد من العلماء، قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لعل الأقرب أن يقال: إن مقاصد القرآن: التوحيد، والأحكام الشرعية، وأحوال المعاد..»[(١)]، وكذلك رجّحه شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهما.

القول الثاني: إنها أربعة مقاصد

وهو قول: أبي حيّان الأندلسي، والنيسابوري، والبِقاعي، والسُّيوطي، والنَّوْرَسي، والزُّحَيلي.

---

(١) روح المعاني (٣٠/ ٢٥٠).

القول الثالث: إنها خمسة مقاصد وما فوق

نجد ولي الله الدَّهلوي فقط هو الذي ذكر خمسة مقاصد، وابن عاشور مع أنه ذكر في مقدمة كتابه ثمانية مقاصد؛ لكن رجع واختصرها علىٰ ثلاثة مقاصد في تفسيره لسورة الفاتحة، فقال: «إنها تشتمل محتوياتها علىٰ أنواع مقاصد القرآن وهي ثلاثة أنواع..»[1].

فقط نجد محمد رشيد رضا هو الذي تحدَّث عن عشرة مقاصد لم يرتضها العلماء؛ بل بيَّنوا تأثره بفكره الإصلاحي، ومحاولة حمل مقاصد القرآن عليها، وهي في غالبها قضايا فرعية راجعة لأصول كليّة، وكل ما ذكره بعد النوع الأول من مقاصد الإصلاح الديني لأركان الدين الثلاثة لخصها في: الإيمان بالله، وعقيدة البعث والجزاء، والعمل الصالح.

ومن هنا نخلص أن مقاصد القرآن الكبرىٰ التي قصدها العلماء محددة جدًا، وأي تفريعات لموضوعات تابعة للقضايا الكبرىٰ ليست من نهج العلماء في تحرير مقاصد القرآن الكريم، والذي أشار لتقسيم المقاصد إلىٰ أساسية وثانوية، أو ما سماه: «مقاصد مهمة» وأخرىٰ «متممة» هو الإمام الغزالي، وتعقّبه شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك مع أنه جعل المقاصد العامة مقاصد مستقلة يصعب جعلها تابعة لغيرها.

(١) التحرير والتنوير (١/ ١٣٣).

رابعًا: تنوع مسمىٰ المقاصد عند العلماء:

مصطلح مقاصد القرآن تباينت فيه تعبيرات العلماء، فعبَّروا عنه بألفاظ مختلفة جاءت علىٰ النحو الآتي:

(أ) مقاصد القرآن:

وهذا هو الذي عبَّر به الجمهور منهم: الغزالي، والبَغَوي، والبيضاوي، والرازي، والعزّ بن عبد السلام، والخازِن، والشاطِبي، والكوراني، والسُّيوطي، والأَلوسي، ومحمد رشيد رضا، والمَراغي، ومحمود شَلْتوت، وعبد القادر مُلاّ حويش، وابن عاشور، ومنهم من أضاف لكلمة مقاصد القرآن كلمة: «العظيمة»، فعبّر عنها: «بمقاصد القرآن العظيمة» كما عند ابن كثير، ومنهم من عبَّر عنها: «بالمقاصد الأساسية للقرآن» كما عند مصطفىٰ المَراغي، والنَّوْرَسي، وأطلقه عدد من العلماء في تفاسيرهم وكتبهم، مثل القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «محاسن التأويل» (١)، وابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجالس التذكير» (٢) وغيرهم.

(ب) علوم القرآن الأساسية:

كما عند ابن العربي، والدَّهلوي، أو بـ «علوم القرآن» فقط كما عند ابن جُزَي، والقُرطبي، حيث قال عن الفاتحة: «سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَضَمُّنِهَا جَمِيعَ عُلُومِ

---

(١) انظر: محاسن التأويل (١/ ٤٠) وغيرها.

(٢) انظر: مجالس التفسير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٢٨٣).

الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَىٰ الثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، وَعَلَىٰ الْأَمْرِ بِالْعِبَادَاتِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهَا، وَالِاعْتِرَافِ بِالْعَجْزِ عَنِ الْقِيَامِ بِشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا بِإِعَانَتِهِ تَعَالَىٰ، وَعَلَىٰ الِابْتِهَالِ إِلَيْهِ فِي الْهِدَايَةِ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَكِفَايَةِ أَحْوَالِ النَّاكِثِينَ، وَعَلَىٰ بَيَانِهِ عَاقِبَةَ الْجَاحِدِينَ»[١]، ونجد الثعالبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو ينقل عن ابن العربي مقاصد القرآن يعبّر عنها كذلك بـ «علوم القرآن» فقال: «قال ابنُ العربيِّ في رحلته: اعلم أنَّ علومَ القُرآنِ ثلاثةُ أقْسامٍ: تَوْحِيدٌ، وتَذْكِيرٌ، وأَحْكَامٌ، وعلْم التذكيرِ هو معظم القُرآن، فإنه مشتملٌ علَىٰ الوَعْد والوَعِيدِ، والخَوْف والرجاء، والقُرَبِ وما يرتبط بها، ويدْعو إليها ويكُونُ عنها، وذلك معنًىٰ تَتَّسِعُ أبوابه، وتمتدُّ أطنابه»[٢]، ومنهم الزَّرْكَشي وقد سبق كلامه[٣].

(ج) مدار القرآن:

والمقصد الأقصىٰ، والمقصود الأشرف كما عند الرازي، والنيسابوري، وأبو حيّان الأندلسي، والبِقاعي، والزُّحَيلي.

(د) أصول القرآن:

كما عند ابن عادل الحنبلي، وابن عاشور، حيث قال: «وهذه السورة وضعت في أول السور لأنها تنزّل منها منزل ديباجة الخطبة أو الكتاب، مع ما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١١٢).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/ ٣٠٠).

(٣) انظر (ص: ١٠٦).

تضمنته من أصول مقاصد القرآن»[١].

(هـ) مهمّات القرآن:

كما عند الغزالي.

(و) معاني القرآن، وأقسام القرآن:

كما عند شيخ الإسلام ابن تيمية، والشاطِبي.

(ز) أمّهات المطالب العالية:

كما عند ابن القيِّم، و«أمّهات مطالب القرآن» كما عند البِقاعي.

ومما يلاحظ أن أوفر هذه المصطلحات وأكثرها استخدامًا وشيوعا عند العلماء، مصطلح مقاصد القرآن، وهو أوضحها من حيث الدلالة من مدار القرآن، وأصول القرآن، وأكثرها استقلالًا من حيث المصطلح، فلم يستخدم إلا في مصطلح مقاصد الشريعة الذي بيَّنا سابقا الفرق بينه وبين مقاصد القرآن، خلافًا لمصطلح علوم القرآن، الذي صار عَلَمًا للعلوم الخادمة للقرآن، ومطالب القرآن التي تمثل جزئية من موضوعاته، وأقسام القرآن الذي يشمل أقسام القرآن من حيث الإحكام والتشابه، أو أقسام القرآن السبعة وهي: «الأمر، والنهي، والتبشير، والإنذار، وضرب الأمثال، وتعريف النعم، وأنباء

(١) التحرير والتنوير (١/ ١٣٥).

قرون ماضية»[١] وغيرها[٢].

كما أن وصف هذه المقاصد بـ «المقاصد الكبرىٰ للقرآن» وصف دقيق أدقَّ من كلمة: «الأساسية» و«العظيمة» وغيرها، فكل بقية المقاصد بالنسبة إليه مقاصد دنيا، أو خاصة، ومن العلماء من سماها بـ «أمّهات مقاصد القرآن» وهو كذلك إطلاق دقيق؛ لأن الأمّهات تعني: أصل الشيء ومرجعه، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تسمية الفاتحة بأم القرآن: «وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا لِكَوْنِهَا كَذَلِكَ أُمُّ الْقُرْآنِ لِتَسْمِيَةِ الْعَرَبِ كُلَّ جَامِعٍ أَمْرًا أَوْ مُقَدَّمًا لِأَمْرٍ، إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوَابِعُ تَتْبَعُهُ، هُوَ لَهَا إِمَامٌ جَامِعٌ أُمًّا، فَـ لِلْجِلْدَةِ الَّتِي تَجْمَعُ الدِّمَاغَ أُمَّ الرَّأْسِ، وَتُسَمِّي لِوَاءَ الْجَيْشِ وَرَايَتَهُمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ تَحْتَهَا لِلْجَيْشِ أُمًّا.. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَكَّةَ سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرَىٰ؛ لِتَقَدُّمِهَا أَمَامَ جَمِيعِهَا، وَجَمْعِهَا مَا سِوَاهَا، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْأَرْضَ دُحِيَتْ مِنْهَا، فَصَارَتْ لِجَمِيعِهَا أُمًّا»[٣].

خامسًا: اختلاف العلماء في طريقة تحديد مقاصد القرآن:

نجد من خلال قراءة ما كُتب عن مقاصد القرآن لم يسلك العلماء فيه مسلكًا واحدًا، فمنهم من كان طريقه إلىٰ ذلك استقراء معنىٰ الآيات والسور كما فعل الغزالي، ومنهم من كان منطلقه لذلك معاني بعض السور كالفاتحة

(١) فتح القدير (٣/ ١٧٠).

(٢) انظر: جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، للدكتور مسعود بودوخة (ص: ٩٥٨)، له تعليق في هذه النقطة استفاد منه الباحث.

(٣) جامع البيان (١/ ١٠٥).

والإخلاص والكافرون، كما فعل الكِرْماني، والرازي، والنَّسَفي، وابن تيمية، وابن القيِّم وغيرهم، وهؤلاء نظروا لمقاصد القرآن من خلال النظر لمقاصد السورة، ومنهم من توصّل لذلك من خلال المصاحبة والمعايشة الكبيرة للقرآن الكريم، ومنهم من بنىٰ قوله علىٰ قول من سبقه، ومنهم من يظهر أنّ منطلقه كان الواقع بتحدياته التي يعايشها، وهذا غالبٌ عند المعاصرين، ومما لا شك فيه أن أقوىٰ طريق لتقرير مقاصد القرآن هو الاستقراء الشامل لآيات القرآن وسوره وآياته، ثم التدليل بعد ذلك علىٰ نتائج الاستقراء، وهنالك مسلك آخر سلكناه في هذا البحث، وهو استقراء جميع ما ذكر من مقاصد، وإخضاعها للسَّبْر والتقسيم والتحليل؛ للوصول لنتائج فيها قدْر كبير من الاتفاق.

سادسًا: تباين طريقة العلماء في الكتابة عن مقاصد القرآن العامة:

عامة من تكلَّم في مقاصد القرآن ربط ذلك بسور معينة جاءت فيها أحاديث متنوعة عن فضلها، كالفاتحة التي هي أم القرآن، وأم الكتاب، وأعظم سورة منه، والإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، والكافرون التي تعدل ربع القرآن، كما فعل: ابن سُرَيج، والغزالي، والكِرْماني، والرازي، والقُرطبي، والنَّسَفي، وابن تيمية، وابن جُزَي، والطِّيبي، وابن القيِّم، وابن كثير، والسُّيوطي، والألُوسي، والمَراغي وغيرهم؛ ومنهم من تحدَّث عنها في مقدمة تفسيره، وفي داخله عند فضائل بعض السور كابن جُزَي، ومحمد رشيد رضا، وابن عاشور.

سابعًا: الاتفاق بين العلماء في مفهوم مقاصد القرآن:

نجد من خلال الاستقراء والتتبع أن مصطلح المقاصد مع أنه لم يحرّر بصورة واضحة عند العلماء؛ لكن كان هنالك شبه اتفاق في مفهومه؛ الذي دار بينهم جميعا حول الغايات الكبرىٰ، والموضوعات الأساسية، والقضايا الكليّة التي دار حولها القرآن، وتنتهي إليها جميع المعاني والموضوعات الأخرىٰ، فليس هنالك اختلاف في المفهوم والتطبيق.

ثامنًا: ضعف تحرير مقاصد القرآن الكريم عند العلماء:

نجد مع اتفاق العلماء في مفهوم المقاصد، وذكر عدد كبير منهم لهذه المقاصد؛ لكننا نجد أنها لم تأخذ حظها الوافي من التحرير عند علماء الدراسات القرآنية، ولم تقصد وتفرد بالتأليف إلا في أوقات متأخرة؛ وإنما جاء ذكرها في الغالب من خلال التفاسير، وبعض الدراسات القرآنية القليلة، فلم نقف علىٰ كتاب مستقل عن مقاصد القرآن عند المتقدمين، فقط الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد خصص له فصلًا كاملًا في كتابه: «جواهر القرآن».

كما أن طريقة العلماء في إثبات المقاصد في الغالب كان هو الاستقراء العام، مع ضعف في التدليل، ويعتبر الشيخ برهان الدين البِقاعي أول من أفرد الحديث حول مقاصد السور، ولكنه لم يتحدث بصورة واضحة حول مقاصد القرآن الكبرىٰ، وأنَّ الكلام عن مقاصد الآيات يعتبر أقدم من الحديث عن مقاصد القرآن، والتوصل إليه أسهل لمن يتدبر الآيات في سياقها الذي وردت فيه.

تاسعًا: فهم المقاصد الاجتهادية يتعلّق بفهم المقاصد النصيَّة:

الوصول لنتائج دقيقة في محاولة تحديد المقاصد الاجتهادية للقرآن لابد أن ينطلق فيها الباحث من المقاصد التي نص عليها الوحي بصورة واضحة، واتفق العلماء علىٰ أنَّ القرآن الكريم أنزل من أجلها، وهي الهداية التي بها تتحقق سعادة الدنيا والآخرة؛ لأن «هذا الوصف من شأنه أن يضبط منهجية التعامل مع القرآن؛ بوصفه نصًا أنزل من أجل غاية كليَّة محددة، فتُفهم موضوعاته في ضوئها، ولضبط هذا المقصد الكلِّي أثره في التأويل، وفهم كثير من القضايا المشكلة التي كانت مثار جدل في التفسير، فمعرفة مقصد المخاطِب تؤثّر في فهم نص الخطاب، كما تُمكّن من فهم أسلوبه في سياق تنزّله»(١).

عاشرًا: توافق ما ذكره العلماء عن مقاصد القرآن في الغالب:

من خلال التتبع والاستقراء نجد أن غالب ما ذكره العلماء حول مقاصد القرآن الكبرىٰ مقبول متفق عليه، اختلفت عباراتهم في التعبير عنه، منهم من كانت عبارته مُحْكمة جامعة، ومنهم من عنون للمقصد بأبرز ما فيه، والذي يختلف حوله مما ذكروه قليل، ومن أوجه هذه المقاصد ما ذكره الإمام الغزالي، وهي تدل علىٰ فهم دقيق واستقراء تام لمعاني القرآن الكريم، حيث

---

(١) مقاصد القرآن دراسة تاريخية، لعبد الله حللي، (ص: ٢٢٩)، مجلة التجديد: بحوث ودراسات، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، (المجلد: ٢٠، العدد: ٣٩، ١٤٣٨هـ).

قسّم هذه المقاصد إلىٰ ثلاثة: (تعريف المدعو إليه، وهو توحيده، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وهو التشريع، وتعريف الحال عند الوصول إليه، وهي العواقب)، فهذه الأمور الثلاثة اتفق عليها عامة العلماء، وعبّروا عنها بألفاظ متنوعة ترجع لمعاني متوافقة، يظهر هذا التقارب في المبحث القادم.





أولًا: ضوابط القول في المقاصد، وعددها، والاسم المناسب لها:

(أ) ضوابط القول في المقاصد:

من خلال ما سبق من دراسة وتحليل، يلاحظ الباحث أن مقاصد القرآن الكبرىٰ لابد فيها من مراعاة ثلاثة ضوابط، تتلخص في الآتي:

الأول: أن تكون ظاهرة واضحة وقد تضافرت الأدلة الكثيرة عليها في القرآن الكريم، فمادام الله تعالىٰ وصف كتابه بأنه مبين كما قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾[يوسف:١]، وقال تعالىٰ: ﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾[الشعراء:١،٢]، وقال تعالىٰ: ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[الزخرف: ١-٣]، فلابد أن تكون مقاصده الكبرىٰ بيّنة، معقولة، معلومة، بخلاف مقاصد الآيات والسور فهي تحتاج إلىٰ نوع استنباط.

والثاني: اتفاق العلماء عليها بعبارات متقاربة، بخلاف ما سواها؛ فلا أعلم أن هنالك أحد من العلماء يخالف في وجود مقاصد كبرىٰ للقرآن الكريم.

والثالث: أن جميع موضوعات القرآن تلتقي حولها وترجع إليها.

(ب) عدد المقاصد:

ومن خلال الاستقراء والتتبع يرىٰ الباحث أن مقاصد القرآن الكبرىٰ، وقضاياه الأساسية، تتلخص في ثلاثة مقاصد؛ وذلك للآتي:

أولًا: لأنه هو قول جمهور العلماء كما سبق بيان ذلك في المبحث السابق، والأقوال الأخرىٰ غير متفق عليها، وهي لا تخلو من تعقبات واضحة سوف نبيِّنها.

ثانيًا: هو القول الذي يتفق مع ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تقسيم القرآن إلىٰ ثلاثة أقسام، وهي لمن يتدبرها يجد أنها غايات؛ لا يختلف بأن معاني جميع الآيات والسور تنتهي إليها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَلِكَ الْقَوْلَ هُوَ الصَّوَابُ بِلَا رَيْبٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِأَنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ مَجْمُوعَ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةُ أَجْزَاءٍ لَيْسَ هُوَ سِتَّةٌ: ثَلَاثَةُ أُصُولٍ، وَثَلَاثَةُ فُرُوعٍ.

وكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، لَمْ يَقُلْ: ثُلُثَ الْمُهِمِّ مِنْهُ، وَلَا ثُلُثَ أَكْثَرِهِ، وَلَا أُصُولَهُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ، وَعَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ أَبُو حَامِدٍ هُوَ سِتَّةٌ: ثَلَاثَةٌ مُهِمَّةٌ، وَثَلَاثَةٌ تَوابِعُ، وَالسُّورَةُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمُهِمَّةِ، وَهَذَا خِلَافُ الْحَدِيثِ، وَأَيْضًا فَإِنَّ تَقْسِيمَ الْقُرْآنِ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ تَقْسِيمُ بِالدَّلِيلِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامٌ، وَالْكَلَامُ إِمَّا: إِخْبَارٌ، وَإِمَّا إِنْشَاءٌ،

وَالْإِخْبَارُ إِمَّا: عَنْ الْخَالِقِ، وَإِمَّا عَنْ الْمَخْلُوقِ، فَهَذَا تَقْسِيمٌ بَيِّنٌ»(١).

ثالثًا: هذا القول يتفق على ما احتوت عليه أعظم الآيات التي بشَّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنزولها عليه، وبيّن أنهما يمثلان نورا خاصًا، كما جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ»(٢).

فاشتمال الفاتحة على مقاصد القرآن يكاد يكون موضع إجماع عند العلماء، وخواتيم سورة البقرة مشتملة على هذه المقاصد الثلاثة، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ في بيان المقصد الأول، وقوله: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ في بيان المقصد الثاني المتمثل في

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، حديث رقم: (٨٠٦).

الاستقامة علىٰ أمره ونهيه، وقوله: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ في بيان المقصد الثالث المتمثل في الإيمان بالمصير إليه، وفي معرفة عاقبة طاعته ومعصيته.

رابعًا: هذا القول تكثر الأدلة والبراهين عليه بكل سهولة، وبتدبر بسيط تجد أن جميع معاني القرآن الكريم ومقاصده الخاصة تنتهي إليه، فهي أصول ثلاثة بارزت وتضافرت عليها مئات الأدلة في الكتاب والسنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الرُّسُلَ وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ فِي تَعْرِيفِهِمْ مَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ، وَتَكْمِيلُ مَا يُصْلِحُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، وَبُعِثُوا جَمِيعًا بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَتَعْرِيفِ الطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَيْهِ، وَبَيَانِ حَالِهِمْ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ، وَالتَّوْحِيدِ، وَالْقَدَرِ، وَذِكْرِ أَيَّامِ اللهِ فِي أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ، وَهِيَ الْقَصَصُ الَّتِي قَصَّهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَالْأَمْثَالُ الَّتِي ضَرَبَهَا لَهُمْ.

وَالْأَصْلُ الثَّانِي: يَتَضَمَّنُ تَفْصِيلَ الشَّرَائِعِ، وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِبَاحَةِ، وَبَيَانِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَمَا يَكْرَهُهُ.

وَالْأَصْلُ الثَّالِثُ: يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَعَلَىٰ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ مَدَارُ الْخَلْقِ، وَالْأَمْرُ وَالسَّعَادَةُ وَالْفَلَاحُ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهَا، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهَا إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرُّسُلِ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ لَا يَهْتَدِي إِلَىٰ تَفَاصِيلِهَا وَمَعْرِفَةِ حَقَائِقِهَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ يُدْرِكُ وَجْهَ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا مِنْ

حَيْثُ الْجُمْلَةُ، كَالْمَرِيضِ الَّذِي يُدْرِكُ وَجْهَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الطِّبِّ وَمَنْ يُدَاوِيه، وَلَا يَهْتَدِي إِلَىٰ تَفَاصِيلِ الْمَرَضِ وَتَنْزِيلِ الدَّوَاءِ عَلَيْهِ»[١].

خامسًا: هذا القول هو الذي ذهب إليه جمهور علماء الإسلام، كما وضحنا ذلك من خلال السرد التاريخي الطويل، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن كليّاته في الجملة: «ومن كليّات القرآن، أنه يدعو إلىٰ توحيد الله ومعرفته، بذكر أسماء الله، وأوصافه، وأفعاله الدالة علىٰ تفرده بالوحدانية، وأوصاف الكمال، وإلىٰ أنه الحق، وعبادته هي الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، ويبيّن نقص كل ما عُبد من دون الله من جميع الوجوه.

ويدعو إلىٰ صحة ما جاء به الرسول محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقه، ببيان إحكامه، وتمامه، وصدق إخباراته كلها، وحُسن أحكامه، ويبيّن ما كان عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من الكمال البشري الذي لا يلحقه فيه أحد من الأولين والآخرين، ويتحداهم بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادقين..

ويقرر الله المعاد بذكر كمال قدرته، وخلقه للسموات والأرض، اللتين هما أكبر من خلْق الناس، وبأن الذي بدأ الخلْق قادر علىٰ إعادته من باب أولىٰ، وبأن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر علىٰ إحياء الموتىٰ، ويذكر أيضا أيامه في الأمم، ووقوع المَثُلات التي شاهدها الناس في الدنيا، وأنها نموذج من جزاء الآخرة»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٩٥ - ٩٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٩٤١).

(ج) مسمى المقاصد:

ومن خلال الاستقراء والتتبع لإطلاقات العلماء لمسمى هذا العلم، نجد بينهما تباين كبير، من أبرز تلك المسميات التي وردت: «أقسام القرآن»، «علوم القرآن الأساسية»، «مدار القرآن»، «المقصد الأقصى»، «أمهات المطالب العالية»، «المقاصد العظيمة للقرآن»، «كليّات القرآن»، «أصول القرآن»، «المقاصد الأساسية للقرآن»، و«مقاصد القرآن»، و«مقاصد القرآن العامة» وغيرها، فالباحث وقف طويلا بين ثلاثة مسميات لبحثه: «مقاصد القرآن الكريم»، وتركه لأنه يشمل جميع أنواع المقاصد، أو أمهات مقاصد القرآن الكريم، مع أن الأم منشأ الشيء وأصله، وتركه لأنه لا يشير بصورة واضحة للأنواع الأخرى، أو المقاصد الكبرى للقرآن، واستقر على هذا المسمى الأخير، لأن الكبرى تنبّه على أن هنالك مقاصد صغرى، وهي التي تتعلق بالآيات والسور، وهو وصف يشير لأهميتها ومكانتها، وهي الأنسب من الإطلاقات الأخرى : كالعليا، والعامة، والعظيمة، والأصلية، والكليّة، وغيرها التي استخدمها بعض العلماء.

ثانيًا: خلاصة القول عن مقاصد القرآن الكبرى:

إليك الحديث عن المقاصد الثلاثة للقرآن الكريم؛ التي يرى الباحث من خلال هذه الدراسة والتتبع الدقيق والطويل؛ لكل ما ذكر عن مقاصد القرآن بمسمياته المتنوعة، أنها تمثل مقاصد القرآن الكبرى بالمصطلح الذي حرّره في البحث.

المقصد الأول: تحقيق توحيده جلّ وعلا

يكون ذلك من خلال معرفة الله تعالىٰ المعبود الحق -جلّ وعلا في أسمائه وصفاته وأفعاله-، وإفراده بالعبودية، وعدم الإشراك به، ومما يدل علىٰ صحة هذا المقصد أمور منها:

أولًا: هذا المقصد تنتهي عنده كل جوانب الاعتقاد الصحيح:

فهو يشمل أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وهو يشمل الإيمان بالقضاء والقدَر الذي هو من لوازم التوحيد، فلا داعي لجعله مقصدًا رابعًا كما فعل بعض العلماء: كأبي حيّان الأندلسي، والنيسابوري، والبِقاعي، والزُّحَيلي، والرازي، جعلوه مقصدًا في مقدمة تفسيرهم، ثم استقر علىٰ المقاصد الثلاثة التي توصلنا إليها من خلال الدراسة، ومثله فعل ابن عادل الحنبلي، وهو يشمل الإيمان بالملائكة والكتب والرسل؛ لأن إرسال الرسل، ونزول الكتب كان من أجل تحقيق توحيده جلّ وعلا؛ ولا سبيل لتحقيق ذلك بدونه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود:١، ٢]، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنَّما أرسَل الرُّسَلَ، وأنزلَ الكتبَ لدُعائِه الخلق إلىٰ

مَعرفتِه وتوحيدِه، وعبادتِه ومَحبتِه والقُربِ منهُ والإنابةِ إليه؛ هذا هو مقصُود الرِّسالة ولبُّها وقُطبُ رحاها الذي تدور عليه، وما ورَاءَ ذلك فإنَّها مُكمّلاتٌ ومُتمّماتٌ ولواحقٌ؛ فكلُّ أحدٍ مفْتقِرٌ إلىٰ معرفة ذلك عِلْمًا، والإتيانِ بهِ عملًا، فلا سَعَادةَ للعَبدِ ولا فلاحَ ولا نجاةَ بدون هذين المقصَدين»[١].

ثانيًا: اتفاق جميع العلماء علىٰ هذا المقصد:

هذا المقصد لم يخالف فيه أحد من العلماء؛ ولكن اختلفت تعبيراتهم عنه، فعامة العلماء نصوا عليه بالتوحيد منهم: ابن سُرَيج البغدادي، وابن جرير، والكِرْماني، والبَغَوي، وابن العربي المالكي، والرازي، والنَّسَفي، وابن تيمية، وابن جُزَي الغرناطي، وأبو حيّان، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والشاطبي، والزركشي، والنيسابوري، والبِقاعي، والأَلوسي، ومحمد رشيد رضا، والنَّوْرَسي، وعبد القادر مُلاّ حويش، والزُّحَيلي، كما هو موضح في الجدول أعلاه.

ونص عليه البعض الآخر من العلماء بتعبيرات متنوعة: فالإمام الغزالي نص عليه بتعريف: (المدعو إليه)، والبيضاوي عبَّر عنه بـ (مقصد العقائد)، ومعه الكوراني، والرازي نص عليه مرة بـ(التوحيد)، ومرة أخرىٰ بـ(الإلهيات)، والطيبي بـ (العقائد)، وابن القيِّم بـ (التعريف بالمعبود)، والسُّيوطي بـ (معرفة الله وصفاته)، والدَّهلوي بـ (التذكير بآلاء الله)، والمَراغي بـ (الثناء علىٰ الله)، وهو قول ابن عاشور، وعبَّر عنه مرة أخرىٰ بـ (إصلاح الاعتقاد).

---

(١) تفسير الفاتحة (ص: ١٩).

ثالثًا: كثرة الأدلة التي تنص عليه في القرآن الكريم:

فقد جاءت أدلة كثيرة قاطعة في القرآن والسنة تبين بما لا يدع مجالًا للشك فيه، أن هذا هو المقصد الذي من أجله خلق الله تعالىٰ الخلْق كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهو الذي دعا إليه جميع رسله، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وهو الذي نادىٰ إليه جميع خلقه، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١]، وهو الأصل الذي كل من فقده هبط عمله، وكان في الآخرة من الخاسرين قال تعالىٰ مخاطبًا رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥، ٦٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[التوبة:٧٢].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ في عظمة هذا المقصد: «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَىٰ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ

وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللهِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَلَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ فَجَوَابُ الْأُولَىٰ بِتَحْقِيقِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا، وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ بِتَحْقِيقِ «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا، وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً»[(١)].

رابعًا: اتفاق العلماء علىٰ أنه المقصد الأول من مقاصد القرآن:

فالعلماء لم يتفقوا فقط علىٰ أنه مقصد من مقاصد القرآن؛ بل نصَّوا علىٰ أنَّه هو المقصد الأسنىٰ والأسمىٰ من نزول القرآن وجميع الأديان، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٣١، ٣٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن مقاصد الشرع الكليّة: «وَالْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ وَالِاسْتِقَامَةُ وَلُزُومُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْمَاءِ، مَقْصُودُهَا وَاحِدٌ وَلَهَا أَصْلَانِ، أَحَدُهُمَا: أَلَا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ، وَالثَّانِي: أَنْ يُعْبَدَ بِمَا أَمَرَ وَشَرَعَ، لَا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ»[(٢)].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٦).

(٢) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٥/ ١٧٢).

بل بيَّنوا أن كلَّ سورة وآية في القرآن دالة عليه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ: إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعُ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، فَهِيَ حُقُوقُ التَّوْحِيدِ وَمُكَمِّلَاتُهُ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ كَرَامَةِ اللهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقْبَىٰ مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ خَبَرٌ عَمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ»[١].

خامسًا: التوحيد أساس الإصلاح:

ومما يدل علىٰ أولوية هذا المقصد أنَّ إصلاح وصلاح الخلْق لا يكون إلا به، فكل دعوة للإصلاح لا تنطلق منه وترجع إليه؛ فهي لم تقم بنيانها علىٰ أساس متين، كيف لا والتوحيد هو أعظم معروف، وأول واجب يقام في الأرض، كما أن الإشراك بالله أعظم منكر، وأول منكر، يجب محاربته في الأرض، قال ابن العربي: «التوحيد هو أول واجب علىٰ المكلف لا النظر، ولا القصد إلىٰ النظر، ولا الشك، كما هي أقوال أرباب الكلام.. فهو أول واجب، وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به عن الدنيا»[٢].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤١٧ - ٤١٨).

(٢) قانون التأويل (ص: ٣٧٨).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْمُكَلَّفِينَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»(١)، وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَالتَّوْحِيدُ: أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَآخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ، وَآخِرُ وَاجِبٍ، فَالتَّوْحِيدُ: أَوَّلُ الْأَمْرِ وَآخِرُهُ»(٢)، فصلاح العبادات والأخلاق والمعاملات مرهون بصلاح المعتقد، بل صلاح الأرض كلها قائم علىٰ تحقيق التوحيد، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أهميته: «وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق؛ لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهّر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما»(٣).

المقصد الثاني: معرفة الصراط المستقيم الموصل لعبوديته:

من عرف الله تعالىٰ فلابد أن يعرف الطريق الموصِل إليه، وهو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله تعالىٰ بسؤاله ليهدينا إليه، في أكثر دعاء يردده المسلم في جميع صلواته في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[الناتحة:٦]، وهو الذي أمر الله تعالىٰ بالتمسك به دون سواه من السبل المعوجّة، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:١٥٣]، وهو السبيل

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٧٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤١٢).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣٩ - ٤٢).

الموصِل إلىٰ النجاة والفوز والرضا بعد تحقيق المقصد الأول، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]، فالنجاة في الدنيا والآخرة بتجريد الوحدانية لله تعالىٰ، وهذا هو المقصد الأول للقرآن الكريم، وفي تجريد الاتباع لله والرسول، وهذا هو المقصد الثاني الذي يقوم عليه بناء الإسلام؛ لأن الضلال ينحصر في كليّاته نوعين: ضلال في المعبود فيعبد غيره، وضلال في العبادة فيعبد الله بغير ما شرع، وقد جاءت سورة الكافرون لتجريدهما لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾، هذه الآيات في تجريد الأصل الأول، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ ، وهذه في تجريد الأصل الثاني.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَيْ: وَلَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، أَيْ: لَا أَسْلُكُهَا وَلَا أَقْتَدِي بِهَا، وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾، أَيْ: لَا تَقْتَدُونَ بِأَوَامِرَ اللهِ وَشَرْعِهِ فِي عِبَادَتِهِ، بَلْ قَدِ اخْتَرَعْتُمْ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ [النَّجْمِ: ٢٣]، فَتبَرَّأَ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّ الْعَابِدَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْبُودٍ يَعْبُدُهُ، وعبادة سْلُكُهَا إِلَيْهِ، فَالرَّسُولُ وَأَتْبَاعُهُ يَعْبُدُونَ اللهَ بِمَا شَرَعَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» أَيْ: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ، وَلَا طَرِيقَ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ عِبَادَةً لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾»[١]، ومما يدل علىٰ صحة هذا المقصد، وأنه يمثل المقصد الثاني من مقاصد القرآن الكبرىٰ أمور منها:

أولًا: تضمّن بيان شعائر الإسلام:

هذا الأصل يشمل جميع شرائع الدين من عبادات علىٰ رأسها الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج وغيرها، ومعاملات من نكاح، وطلاق، وبيوع، وأوامر، ونواهي، وأخلاق وغيرها؛ فذلك كله هو الصراط المستقيم، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ مُتَضَمِّنٌ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، وَإِيثَارَهُ، وَتَقْدِيمَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ، وَمَحَبَّتَهُ وَالِانْقِيَادَ لَهُ، وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ، وَجِهَادَ أَعْدَائِهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، وَالْحَقُّ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا فِي بَابِ صِفَاتِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، وَأَسْمَائِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَفِي حَقَائِقِ الْإِيمَانِ، الَّتِي هِيَ مَنَازِلُ السَّائِرِينَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُسَلَّمٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دُونَ آرَاءِ الرِّجَالِ وَأَوْضَاعِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَاصْطِلَاحَاتِهِمْ، فَكُلُّ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ حَقِيقَةٍ، أَوْ حَالٍ أَوْ مَقَامٍ خَرَجَ مِنْ مِشْكَاةِ نُبُوَّتِهِ، وَعَلَيْهِ السِّكَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، بِحَيْثُ يَكُونُ مِنْ ضَرْبِ الْمَدِينَةِ، فَهُوَ مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنْ صِرَاطِ أَهْلِ الْغَضَبِ وَالضَّلَالِ، فَمَا ثَمَّ خُرُوجٌ عَنْ هَذِهِ الطُّرُقِ الثَّلَاثِ: طَرِيقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٧٩).

وَمَا جَاءَ بِهِ، وَطَرِيقِ أَهْلِ الْغَضَبِ، وَهِيَ طَرِيقُ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَعَانَدَهُ، وَطَرِيقِ أَهْلِ الضَّلَالِ وَهِيَ طَرِيقُ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ عَنْهُ»(١).

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَشْتَمِلُ عَلَىٰ التَّعْرِيفِ بِأَنْوَاعِ التَّعَبُّدَاتِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَمَا يَتْبَعُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنَ الْمُكَمِّلَاتِ، وَهِيَ أَنْوَاعُ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ، وَجَامِعُهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالنَّظَرُ فِيمَنْ يَقُومُ بِهِ»(٢).

ثانيًا: هو الأصل الثاني الذي يقوم عليه الدين:

الدين يقوم علىٰ أصلين، الأول: في تجريد الوحدانية، والثاني: في تجريد الاتباع لما أنزل الله تعالىٰ من كتاب وسنة، كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]، والذي أنزله الله تعالىٰ هو الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ١١]، وبذلك يكون استقامة عند العبد مصدري التلقي لطريق عبوديته وحياته، فيدور مع توجيههما له حيث دارا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَجِمَاعُ الدِّينِ أَصْلَانِ: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ، وَلَا نَعْبُدَهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، لَا نَعْبُدُهُ بِالْبِدَعِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٨١).

(٢) الموافقات (٤/ ٢٠٤).

[الكهف: ١١٠]، وَذَلِكَ تَحْقِيقُ الشَّهَادَتَيْنِ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَفِي الْأُولَىٰ: أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَفِي الثَّانِيَةِ: أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُهُ الْمُبَلِّغُ عَنْه، فَعَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَ خَبَرَهُ، وَنُطِيعَ أَمْرَهُ، وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا مَا نَعْبُدُ اللهَ بِهِ، وَنَهَانَا عَنْ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ وَأَخْبَرَ أَنَّهَا ضَلَالَةٌ.. كَمَا أَنَّا مَأْمُورُونَ أَلَّا نَخَافَ إِلَّا اللهَ، وَلَا نَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ، وَلَا نَرْغَبَ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ، وَلَا نَسْتَعِينَ إِلَّا بِاللهِ، وَأَلَّا تَكُونَ عِبَادَتُنَا إِلَّا لِلَّهِ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ مَأْمُورُونَ أَنْ نَتَّبِعَ الرَّسُولَ، وَنُطِيعَهُ وَنَتَأَسَّىٰ بِهِ، فَالْحَلَالُ مَا حَلَّلَهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ، وَالدِّينُ مَا شَرَعَهُ»(١).

ثالثًا: اتفاق العلماء عليه:

هذا المقصد اتفق عليه جميع العلماء الذين تكلموا عن مقاصد القرآن الكبرىٰ؛ ولكنهم عبّروا عنه بتعبيرات متنوعة من ذلك:

منهم من عبَّر عنها بالصراط المستقيم، قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه»(٢)، وهو تعبير له منطلقاته القرآنية، وهو شامل لجميع جوانب التشريع.

ومنهم من عبّر عنها بالأحكام، والأوامر والنواهي، والعبادات والسلوك، وهم: ابن العربي، والبيضاوي، وابن تيمية في أحد أقواله، وابن جُزَي، والطِّيبي، وابن عادل الحنبلي، وبدر الدين الزَّرْكَشي، والكوراني، والسُّيوطي، وولي الله

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٣٤).

(٢) جواهر القرآن (ص: ٢٣).

الدَّهلوي، والأَلوسي، والمَراغي، ومحمود شَلْتوت، والشيخ عبد القادر مُلاّ حويش، وابن عاشور، وهم يقصدون بذلك معنىٰ واحدًا وهو: (ما يتعلق بأفعال الجوارح في الأوامر والنواهي، وهو مباحث علم الفقه والمعاملات).

ومنهم من عبّر عنه بالنبوة، وقد عبّر عنها بذلك: الرازي، وأبو حيّان، وابن القيِّم، وابن كثير، والشاطبي، والنيسابوري، والبِقاعي، وسعيد النَّوْرَسي، ووهبة الزُّحَيلي، وهم يقصدون بذلك: (شريعة الإسلام التي بعث بها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وعبّر محمد رشيد رضا بالعمل الصالح، ولعله يقصد به (ما كان موافقًا للكتاب والسنة) كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، ثم ذكر مقاصد أخرىٰ نجدها بعد التدقيق، إما هي مندرجة تحت هذا الأصل، أو وسيلة إليه، مثال ذلك: «المقصد الرابع من مقاصد القرآن: الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي.. والمقصد السادس من مقاصد القرآن: بيان حكم الإسلام السياسي الدولي.. والمقصد السابع من فقه القرآن: الإرشاد إلىٰ الإصلاح المالي، والمقصد الثامن من فقه القرآن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها، وقصرها علىٰ ما فيه الخير للبشر، والمقصد التاسع من فقه القرآن: إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية، والمقصد العاشر من فقه

القرآن: تحرير الرقبة»(١)، فهذه لا يمكن أن تكون مقصدًا مستقلًا؛ بل هي مندرجة ضمن مقصد التشريع، وتفصيل في بعض أحكام الكتاب والسنة.

رابعًا: كثرة الأدلة التي تنص عليه في القرآن الكريم:

فقد جاءت أدلة كثيرة قاطعة في القرآن والسنة تبيّن بما لا يدع مجالًا للشك فيه، أن هذا هو المقصد الثاني من مقاصد القرآن الكبرىٰ، وأنه ليس هنالك طريق يوصل لحُسن عبوديته غيره، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦].

وهو ما دعا إليه الأنبياء، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٣، ٧٤]، وقال تعالىٰ مخاطبًا رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ

---

(١) تفسير المنار (١١/ ١٧١ - ٢٣٦).

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٤٢]، وهو الذي يؤمن ويدعو له العلماء، قال تعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، وغيرها من أدلة.

خامسًا: شمول مسمىٰ الصراط المستقيم لكل ما قاله العلماء:

فالعلماء عبّروا عن هذا المقصد بتعبيرات متنوعة كم سبق بيان ذلك، من مسمىٰ الأوامر والنواهي، أو الأحكام، أو النبوة وغيرها، فكلها في النهاية تلتقي في معنىٰ الصراط المستقيم الذي يهدىٰ إليه القرآن، وأمرنا باتباعه، ولا يحيد عنه إلا منحرف عن الهدىٰ، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تنوع عبارات العلماء في التعبير عن معنىٰ الصراط المستقيم، وأنه متضمن لكل ما ذكر: «فإن الناس قد تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه، بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد، وهو طريق الله الذي نصه لعباده علىٰ ألسن رسله، وجعله موصِلا لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه؛ بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا، وهو إفراده بالعبودية، وإفراد رسوله بالطاعة، فلا يشرك به أحدا في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحدا في طاعته، فيجرّد التوحيد، ويجرّد متابعة الرسول، وهذا معنىٰ قول بعض العارفين: «إن السعادة والفلاح كله مجموع في شيئين: صدق محبته، وحسن معاملته»، وهذا كله مضمون شهادة: أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فأي شيء فسّر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين، ونكتة ذلك وعقده؛ أن تحبه بقلبك كله، وترضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه، ولا تكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته، الأول:

يحصل بالتحقيق بشهادة أن لا إله إلا الله، والثاني: يحصل بالتحقيق بشهادة أن محمدا رسول الله، وهذا هو الهادي ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل له، وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به، فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها وقطب رحاها»[1].

ولكل ما سبق جعلنا المقصد الثاني من مقاصد القرآن الكبرىٰ في بيان الصراط المستقيم الموصِل إليه؛ الذي نحن ندع الله تعالىٰ في كل صلاة أن يبيّنه لنا، ويوفقنا للعمل به، والثبات عليه، وعدم الانحراف عنه، وقد حاول العلماء أن يفصلوا عنه مقاصد أخرىٰ، مثل مقصد: (إصلاح العمران، والمرأة، وأمور الحرب والقتال وغيرها)، فهي مقاصد خاصة في جوانب تشريعية معينة لا يمكن أن تكون مقصدًا كليًا.

المقصد الثالث: معرفة عاقبة مَن عبده ومَن عصاه في الدارين:

النفوس العاملة تتطلع دائما للنتائج والمآلات لما وراء عملها، ويتمثل ذلك في الثواب والجزاء علىٰ الأعمال الحسنة والسيئة في الدنيا والآخرة، وقد تحدّث القرآن حديثًا طويلًا واسعًا فيما يتعلق بمآلات الأعمال، ترغيبًا وترهيبًا، وتذكيرًا وموعظةً، شملت جوانب متعددة، تدور في ثلاثة محاور:

المحور الأول: الإيمان باليوم الآخر: وهو يشمل ما يتعلق بذلك من فتنة القبر، وما فيه من سؤال ونعيم وعذاب أليم، والساعة وعلامتها وأهوالها،

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٥٩).

وكيفية البعث والحشر، وما فيه من طول الوقوف، ونصب الصراط، ودنوّ الشمس، والعرَق، ووضع الموازين، وتطاير الكتب باليمين أو الشمال، وتفرده بالحكم، وسرعة ودقة حسابه للخلْق، والجنة وما فيها من نعيم عظيم مقيم وسرور وحبور للمتقين، والنار وصفاتها وهولها وما فيها من جحيم للمجرمين المكذبين، وما جاء من تفاصيل ذلك.

المحور الثاني: بيان حقيقة الدنيا: وما جاء في القرآن من التزهيد فيها، والتحذير من خطورة الركون إليها، ونسيان الآخرة، وأنها ليست دار قرار.

فهذا ما جعل عددًا من العلماء يعبّرون عن هذا المقصد بمعرفة الآخرة، والمعاد، والحشر، والجزاء على الأعمال، والتذكير بالموت وما بعد الموت، منهم: الغزالي، والرازي، وأبو حيّان، وابن القيِّم، وابن عادل الحنبلي، والشاطبي، والنيسابوري، والبِقاعي، والسُّيوطي، والدَّهلوي، والأَلوسي، ومحمد رشيد رضا، والنَّوْرَسي، والزُّحَيلي.

المحور الثالث: عواقب الطاعة والمعصية في الدنيا: وهذا تحدّث عنه القرآن طويلا، وفي كثير من السور من خلال قصص القرون الأولى، مع بيان ما تحقق للمؤمنين من نصر وحسن عاقبة وتمكين، وما حلَّ من عقاب وهلاك ودمار للكافرين، نجد ذلك ممتدًا في غالب سور القرآن، من خلال ما قصه عن أخبار القرون الأولى، كقصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه، وإبراهيم ولوط عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ مع قومهما، وقصة قوم هود وصالح وشعيب عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ

مع أقوامهم، وموسىٰ وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ مع فرعون وملأه، ويدخل في هذا ما فيها من الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير، والوعد والوعيد، مع ما تضمّنه من مواعظ بليغة، وتذكير، وقد سمىٰ بعض العلماء هذه الأمور بـ: (القَصص)، وهم يريدون هذا الجانب، منهم: البيضاوي، وابن تيمية، وابن جُزَي، والطيبي، والكوراني، والسُّيوطي، وبعضهم أشار إلىٰ ما جاء في هذه القَصص بسورة خاصة من تذكرة، ووعد ووعيد، منهم: ابن العربي، وابن تيمية، وابن كثير والزركشي، والمَراغي، وابن عاشور.

وقد جمع هذه المحاور الثلاثة الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لهذا المقصد فقال: «يَدْخُلُ فِي ضِمْنِهِ النَّظَرُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: الْمَوْتِ وَمَا يَلِيهِ، وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا يَحْوِيهِ، وَالْمَنْزِلِ الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ، وَمُكَمِّلُ هَذَا الْجِنْسِ التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ، وَمِنْهُ الْإِخْبَارُ عَنِ النَّاجِينَ وَالْهَالِكِينَ وَأَحْوَالِهِمْ، وَمَا أداهم إليه حاصل أعمالهم»[1] .

وهذا المقصد له أهمية عالية؛ لأن اليقين بالثواب والعقاب المترتب علىٰ الأعمال، هو أعظم دافع للعمل الطيب، وأعظم زاجر عن العمل السيء.

وقد تم اختيار هذا المقصد والعنونة له بهذا العنوان، لعدة أسباب منها:

أولًا: اتفاق جميع العلماء علىٰ هذا المقصد:

مما يدل علىٰ أن هذا المقصد أحد مقاصد القرآن الكبرىٰ الذي اتفق

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٠٤).

جميع العلماء عليه؛ ولكنهم عبّروا عنه بتعبيرات متنوعة، فمنهم من عبّر بأعظم ما يكون فيه من العقاب والثواب، وهو يوم المعاد، ومنهم من عبّر عنه بجزء المعنىٰ، كمن عبّر بالوعد والوعيد، أو التذكير، أو القصص؛ ولكن في النهاية ينتهي الكلام كله عند تتبع تفاصيل كلامهم، كما قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في تعريف أحوال المُجيبين للدعوة، ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسِرُّهُ ومقصودُه التشويقُ والترغيبُ، وتعريفُ أحوال النَّاكبين والنَّاكلين عن الإجابة وكيفيةُ قمعِ الله لهم وتنكيلِهِ لهم؛ وسِرُّهُ ومقصوده الاعتبار والترهيب..»(١).

ثانيًا: يمثل أحد المحاور الثلاثة الأساسية لأم القرآن:

فقد نصّت سورة الفاتحة علىٰ أمهات مقاصد القرآن الثلاثة التي تحدّث من خلالها عامة المُفسّرين عن مقاصد القرآن، وقد جاء ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾، وهذه في الإيمان في الآخرة، وقوله تعالىٰ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾، وهذا في عاقبة من أطاعه ومن عصاه في الدارين، فمن عرف الحق وعمل به صار من المنعم عليه، ومن عرفه وحاد عنه صار من المغضوب عليه، ومن عبد الله تعالىٰ بغير صراطه المستقيم صار من الضالّين، وكل من تكلَّم عنهم القرآن لا يخرجون عن هذه القِسمة، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «انقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلىٰ هذه الأقسام الثلاثة: لأن العبد إما أن يكون عالما بالحق أو جاهلا به،

(١) جواهر القرآن (ص: ٢٥).

والعالم بالحق إما أن يكون عاملا بموجبه أو مخالفا له، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها ألبتة، فالعالم بالحق العامل به هو المُنعَم عليه، وهو الذي زكّىٰ نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، وهو المُفلح قد أفلح من زكّاها، والعالم به المتبّع هواه، هو المغضوب عليه، والجاهل بالحق، هو الضالّ، والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل، والضالّ مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل، فكلٌّ منهما ضالٌّ مغضوب عليه؛ ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولىٰ بوصف الغضب، وأحقّ به»[1].

ثالثًا: عظم أثره في التزكية والإصلاح:

القرآن الكريم تحدّث كثيرا عن هذا الأصل فخصص له بعض السور، وأكد عليه في عشرات الآيات، وربطه كثيرا بالإيمان بالله الذي هو الأصل الأول، أو بما يتعلق بالأحكام من أمر ونهي، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ﴾[البقرة:٢٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١١).

ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء:٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٥،٤٤] وغيرها من أدلة كثيرة، وذلك لما علىٰ الإيمان بعاقبة الأعمال في الدارين خاصة في اليوم الآخر من أعظم الأسباب في إصلاح الأنفس وتزكيتها، وتوجهها نحو السلوك المستقيم، والقيام بما أوجب الله تعالىٰ عليه، والانتهاء عما نهاه عنه، فهو أعظم محفّز للعمل الصالح، وأعظم زاجر عن العمل السيء، لما يترتب علىٰ ذلك من الخوف الذي يؤدي إلىٰ الانكفاف عن معصيته، والرجاء وهو الذي يدفع العبد وييسر عليه طاعته ربه، ويجعله مستقيمًا علىٰ هدىٰ ربه، مبعدًا لهوىٰ نفسه، ساعيًا لنيل مرضات ربه، متهيئا للقائه بقلب سليم، وعمل صالح قويم، فلا يركن للدنيا، ولا يؤثر شيئا علىٰ الفوز بالآخرة، «وبهذا عرفنا الحكمة من كون الله عزّ وجلّ يقرن الإيمان باليوم الآخر في كثير من الآيات؛ بالإيمان بالله دون بقية الأركان التي يؤمن بها؛ وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر يستلزم العمل لذلك اليوم؛ وهو القيام بطاعة الله ورسوله»(١).

ومن تأمّل قدْر هذا الموضوع في القرآن يجده يمثّل ثلثه تقريبًا، فصار القرآن ثلثه في الاعتقاد، وثلثه في التشريع، وثلثه في عاقبة من عبده ومن عصاه في

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٤٤١).

الدنيا والآخرة، ولا تخرج آية واحدة من هذه المقاصد الكليّة التي هي أمهات مقاصد القرآن، والله أعلم.

فهذا الذي توصَّلنا إليه من تحديد لمقاصد القرآن الكبرىٰ، هو ما قرّره جمهور العلماء، وتسنده الأدلة والبراهين، وما ذكر من مقاصد غيرها، هي قليلة، وهي لا تخلو من واحد من اثنين عند النظر والتدقيق فيها:

الأول: مقاصد متفرعة عن واحد من هذه المقاصد الأساسية التي سبق ذكرها، ومتمّمة لها، كمقصد العمران، والمرأة، والرّق وغيرها.

والثاني: ما لا يمكن جعلها مقاصد؛ وإنما هي ترجع إلىٰ أسلوب الخطاب القرآني، مثل: القَصص، والتعليم، والترغيب والترهيب، والإعجاز، وسياسة الأمة.







في ختام هذا البحث أحمد الله تعالىٰ أولًا علىٰ توفيقه وإعانتي علىٰ إكماله، وأسأله تعالىٰ التوفيق فيما توصلت إليه من نتائج؛ بذلت في تحريرها غاية وسعي، قربةً لربي، وسعيًا جادًا في خدمة كتابه، وشكرًا له علىٰ نعمه.

وقد تلخصت أبرز النتائج والتوصيات في الآتي:

أولًا: أبرز النتائج:

١. مقاصد القرآن الكبرىٰ من الأمور المهمة لكل مشتغل بالقرآن الكريم تدبرًا أو تعليمًا وتطبيقًا، وهي تسهم في زيادة وعي الأمة بكتابها العزيز، ويدفع به صائل أعداء الدين.

٢. هنالك شِبه اتفاق عند جميع العلماء علىٰ مفهوم مقاصد القرآن؛ الذي تلخص حول الغايات الكبرىٰ، والموضوعات الأساسية، والقضايا الكليّة التي دار حولها القرآن، وتنتهي إليها جميع المعاني والموضوعات الأخرىٰ.

٣. عرَّف الباحث مقاصد القرآن الكبرىٰ بـ: **(الغايات العليا التي عليها مدار القرآن الكريم)**.

٤. أبرز الفروق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة، أن مقاصد القرآن عامة، ومقاصد الشريعة خاصة، ولكل واحد منهما غرضه، ومنزعه، وتقسيماته، وأنواعه المختلفة.

٥. الفرق بين مقاصد القرآن الكبرىٰ والدنيا، والعامة والخاصة، يكمن فيما بينهما من عموم وخصوص، واختلاف غايتهما، ودرجة أولوياتهما، وطرق استخراجهما، وأثرهما.

٦. الفرق بين مقاصد القرآن والتفسير المقاصدي، يبرز في اختلاف موضوعهما، وغايتهما، ومنزعهما، وبعدهما التاريخي، وثمارهما.

٧. مقاصد القرآن لها فوائد عديدة منها: جمع خلاصة ما تفرّق وتوزّع من معاني القرآن، واتباع منهج أقوم في فهم خطاب القرآن، وبناء مَلَكة مهمة في التدبر والاستنباط، وتيسير وتسهيل فهم القرآن للناس، وبناء خارطة أولويات واضحة، وإضافة بُعد تدبري مهم، وتضييق دائرة الاختلاف في التفسير، وغيرها من فوائد.

٨. الحديث عن مقاصد القرآن قديم في الدراسات القرآنية، ويعتبر **الإمام الغزالي أول من تكلَّم عنه بصورة واضحة** من خلال كتابه «جواهر القرآن الكريم»، ثم توالت الكتابات فيها ولم تنقطع حتىٰ يومنا هذا بل زاد الاهتمام بها، وما زال البحث يحتاج لمزيد تحرير لها.

٩. العلماء تباينت أقوالهم في تحديد عدد مقاصد القرآن، فالجمهور علىٰ أنها ثلاثة، وقليل من قال: أربعة، وأقل منهم من زاد علىٰ ذلك.

١٠. إطلاقات العلماء لمقاصد القرآن جاءت متنوعة، فالجمهور أطلقوا عليها: «مقاصد القرآن»، ومنهم من أطلق عليها: «علوم القرآن الأساسية أو علوم القرآن»، ومنهم من أطلق عليها: «مدار القرآن»، ومنهم من أطلق عليها: «أصول القرآن»، ومنهم من أطلق عليها: «معاني القرآن»، و«أقسام القرآن»، ومنهم من أطلق عليها: «أمهات المطالب العالية»، و«أمهات مطالب القرآن»، و «مهمّات القرآن»، ومن خلال البحث والدراسة وجدنا إطلاق: **«مقاصد القرآن»** علىٰ مسمىٰ هذا العلم، هو أوضحها من حيث الدلالة من غيرها.

١١. عامة من تكلم في مقاصد القرآن الكبرىٰ، ربط ذلك بسور معيّنة جاءت فيها أحاديث متنوعة عن فضلها، كالفاتحة، والإخلاص، والكافرون.

١٢. ما ذكره العلماء عن مقاصد القرآن الكبرىٰ غالبه مقبول متفق عليه، واختلفت عباراتهم في التعبير عنها، والذي يختلف حوله مما ذكروه قليل.

١٣. مقاصد القرآن الكبرىٰ التي توصَّل إليها الباحث ثلاثة؛ تلخصت في:

- **معرفة المعبود الحقّ جلّ جلاله.**
- **معرفة الصراط المستقيم الموصِل إلىٰ عبوديته.**
- **معرفة عاقبة من عبده ومن عصاه في الدارين.**

ثانيًا: أبرز التوصيات:

من خلال إجراء هذه الدراسة يوصي الباحث بما يأتي:

١) تدريس المقاصد الكبرىٰ ضمن مدخل دراسة التفسير.

٢) إجراء بحوث تحليلية تأصيلية في أنواع المقاصد الأخرىٰ.

٣) الاهتمام بالبُعد المقاصدي عند المُفسّرين، والوقوف علىٰ أثره التفسيري.

٤) جعل مادة المقاصد ضمن مقررات الدراسات العليا لطلاب التخصص.



فهرس المراجع والمصادر

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي، تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ط: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، ط: ١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢. الاجتهاد المقاصدي: حجيته ضوابطه مجالاته، نور الدين بن مختار الخادمي، ط: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ط: ١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، ت: عبد السلام محمد علي شاهين.

٤. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، ت: د. سيد الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١/ ١٤٠٤هـ.

٥. أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السُّيوطي أبو الفضل، ت: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الاعتصام، القاهرة.

٦. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النَّوْرَسي، ت: إحسان قاسم الصالحي.

٧. الأشباه والنظائر في قواعد الفقه، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الأنصاري المعروف بابن الملقّن، تحقيق ودراسة: مصطفىٰ محمود الأزهري، الناشر: دار ابن القيِّم للنشر والتوزيع، الرياض، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: ١/ ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن قيّم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط: دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٩. أعمال الفهم المقاصدي للقرآن الكريم عند المفسّرين، أ.د مصطفي محمد حديد، مجلة علوم الشريعة، بالجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد: ١ - ٢٠١٥م.

١٠. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن قيّم الجوزية ، تحقيق: خالد عبد اللطيف ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١١. إلىٰ القرآن الكريم، محمود شلتوت، ط: دار الشروق - القاهرة، ط١/ ١٩٨٣م - ١٤٠٤هـ.

١٢. أمهات مقاصد القرآن طرق معرفتها ومقاصدها، د. عز الدين بن سعيد كشنيط الجزائري، إشراف: د. عبد الستار حامد الدباغ، ط: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، ط١/ ٢٠١٢م.

١٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط: دار صادر، بيروت، ط١/ ٢٠٠١م.

١٤. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، طبعة جديدة بعناية زهير جعيد، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٥. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف ابن قيِّم الجوزية، الناشر: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز - مكة المكرمة، ط١/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٦. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة، بيروت، ط/ ١٣٩١م.

١٧. بيان المعاني: مرتب حسب ترتيب النزول، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني، الناشر: مطبعة الترقي - دمشق، ط١/ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م.

١٨. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ الزَّبيدي، تحقيق: الترزي، وحجازي، والطحاوي، والعزباوي، ط: مطبعة حكومة الكويت، عام: ١٣٩٥هـ.

١٩. تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد «التحرير والتنوير»، الإمام محمد بن الطاهر ابن عاشور، ط: دار سحنون، تونس.

٢٠. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: ٤/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢١. التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل ألّود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢/ ٢٠٠٣م.

٢٢. تفسير الفاتحة، الحافظ أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: سامي بن محمد بن جاد الله، ط: دار المحدث، ط١/ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٣. تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة:٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٥. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفىٰ المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابىٰ الحلبي وأولاده بمصر، ط١/ ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

٢٦. التفسير المقاصدي: تأصيل وتطبيق، د. مشرف أحمد جمعان الزهراني، مجلة الدراسة الإسلامية الرياض، المجلد: ٢٨، العدد:١، ١٤٣٧هـ.

٢٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفىٰ الزُّحَيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة:٢، ١٤١٨ هـ.

٢٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر ابن سعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القُرطبي، تحقيق: محمد إبراهيم الخناوي ومحمود حامد عثمان، ط: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣١. جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، تنظيم مركز الدراسات القرآنية - الرابطة المحمدية للعلماء بالتعاون مع مراكز أخرىٰ، بمدينة فاس- المغرب، المنعقد بتاريخ: ١٠-١٢ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٣٢هـ، الموافق: ١٤- ١٦ أبريل ٢٠١١ م.

٣٢. جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، د. مسعود بودوخة، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن وعلومه في موضوع جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه، المنعقد في مدينة فاس بالمغرب، بتاريخ: ١٠-١٢ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٣٢هـ، الموافق: ١٤- ١٦ أبريل ٢٠١١م.

٣٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل

أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١/ ١٤١٨هـ.

٣٤. جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢/ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

٣٦. دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، ط: الدار الحميدية، الهند.

٣٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطيَّة، ط: المكتبة العلمية، بيروت، ط: ١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد شمس الدين المعروف بابن قيِّم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: ٢٧/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ.

٤٠. طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها، أ.د طه عابدين طه، دراسة تأصيلية تطبيقية، طبعة: مكتبة المتنبي، الدمام، ط: ١/ ١٤٤١هـ.

٤١. غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (من أول سورة النجم إلىٰ آخر سورة الناس)، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)، بتركيا، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، ٢٠٠٧م.

٤٢. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكِرْماني، ويعرف بتاج القراء، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

٤٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١/ ١٤١٦ هـ.

٤٤. فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط: دار الوفاء، المنصورة، ط: ٢/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٥. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيب (حاشية الطيبي علىٰ الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط: ١/ ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤٦. الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدَّهلوي، عرّبه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، الناشر: دار الصحوة، القاهرة، ط: ٢/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٤٧. قانون التأويل، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط: ١/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٨. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، راجعه وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليّات الأزهرية، القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م.

٤٩. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٥٠. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن، ط: دار الفكر، بيروت، ط: ١/ ١٣٩٩هـ.

٥١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: ١، دار صادر، بيروت.

٥٣. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير «تفسير ابن باديس»، عبد الحميد محمد ابن باديس الصنهاجي، ت: أحمد شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥٤. مقاصد القرآن: دراسة تاريخية، عبد الله حللي، مجلة التجديد: بحوث ودراسات، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد: (٢٠)، العدد: (٣٩)، ١٤٣٨هـ.

٥٥. مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميّة، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥٦. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط: ١/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٥٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥٨. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن قيّم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٢/ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٦٠. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النَّسَفي، حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدّم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط:١/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦١. مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، تحقيق: عبد السميع محمد حسنين، ط: مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٨هـ.

٦٢. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البَغَوي، حققه وخرّج أحاديثه: محمد عبد الله نمر، ود. عثمان جمعة، وسليمان مسلم، ط: دار طيبة، الرياض، ط:١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الجيل، بيروت، ط:١/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٦٤. مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الشافعي، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٦٥. مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الشافعي، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ٣/ ١٤٢٠هـ.

٦٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيّم الجوزية، ط: دار ابن حزم، بيروت، ط١/ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٧. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علاّل الفاسي، تحقيق: إسماعيل حسني، ط: دار السلام، ط٢/ ٢٠١٣م.

٦٨. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٩٦. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، ط: الدار العالمية للكتاب الإسلامي - الرياض، ط١/ ١٩٩٤م.

٧٠. مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، د. عبد الكريم حامدي، ط: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١/ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٧١. مقاصد القرآن نظرة تقويمية، محمد المنتار، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن وعلومه في موضوع جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه، المنعقد في مدينة فاس بالمغرب، بتاريخ: ١٠-١٢ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٣٢هـ، الموافق: ١٤- ١٦ أبريل ٢٠١١م.

٧٢. المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية، محمود عبد الهادي فاعور، ط: بسيوني للطباعة، صيدا، لبنان، ط١/ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٧٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٧٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقق: د. محمد رشاد سالم، ط: مؤسسة قرطبة، ط١/ ١٤٠٦هـ.

٧٥. الموافقات، إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللَّخمي الشاطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن عفان، ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٦. موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١/ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧٧. النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، اعتنىٰ به وخرّج أحاديثه عبد الحميد الدخاخني، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٨. نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي، تحقيق: أيمن عبد الرزاق الشوّا، ط: مطبعة الشام، سورية، ط١/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٧٩. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للشيخ أحمد الريسوني، ط: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٢/ ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٨٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البِقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٥هـ.

٨١. النكت والعيون «تفسير الماوردي»، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨٢. الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، أ.د طه عابدين طه وآخرون، طبعة مكتبة المتنبي، الدمام، السعودية، ط١/ ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.





فهرس الموضوعات




مؤسسة النبأ العظيم


alnpaa.com
+ 966 550427304
alnpaa@gmail.com